

محمد جواد الغبان

المعارك الأدبية حول تحرير المرأة في الشعر العراقي المعاصر

هذا الكتاب

موضوع هذا الكتاب فريد في بابـــــــــــــــــه ، جديد في عرضه ومضامينه ، لأنه يؤرخ لأول مرة - حقبة شعرية حفلت بالمعارك الادبية والمطارحات الشعرية ، في مواضيع اجتماعية وفنية ، تخص صميم المرأة العراقية من حيث التعليم والسنفور والحجاب ، والعادات والتقاليد الاجتماعية المتعلقة بها ، والقيود المفروضة عليها ، بالاضافة الى ما يعالجه هذا البحث من المساجلات الشعرية حول الزيادة الاولى التي قامت بها السيدة أم كلثوم الى العراق في اوائل الثلاثينيات من القرن الماضي حيث قامت بتلك المناسبة مساجلات ومعارك شعرية حامية الوطيس مما يعطي لهذا البحث أهمية بالغة في تاريخ العراق الادبي والاجتماعي من خلال الثلث الاول من القرن العشرين ، الذي تتكون منه مساحة هذا البحث الزمانية .

ومما يزيد هذا البحث أهمية ان موضوعه بكر في بابـــــــــــــــــه ، لم يُعَنَ - من قبل - أحد من الباحثين والمؤلفين بدراسته دراسة موضوعية بالشكل الذي يتولى هذا البحث عرضه واستيفاء متطلباته الفنية والادبية . ثم ان معظم الشعر الذي تزدان بالأنه وفرانده ثنائيا هذا البحث يعتبر من اروع الشعر المعاصر من حيث الشكل والمضمون ، من حيث اغراضه الاجتماعية التي جاشت بها قرائح شعراء العراق المجددين في تلك الفترة الزمنية .

راجين ان تتحقق في نشر هذا الكتاب الفائدة المرجوة منه بما يتناسب مع الجهود المبذولة فيه ، وأن يأخذ موقعه اللائق به في مكتبة الدراسات الادبية حول الشعر العراقي الحديث . ان دائرة العلاقات الثقافية في وزارة الثقافة العراقية استطاعت أن تقدم جهداً في هذا المجال رغم ندرة مصادر البحث والكتاب الذي بين يدينا استطاع كاتبه ان يقف من خلال فصوله على جملة من عوالم المرأة ، لذا نشعر بالفخر والاعتزاز لقيامنا بهذه المهمة الجليلة آمين ان يوفق الله الجميع على هذا الجهد المبارك .

**المعارك الأدبية
حول تحرير المرأة
في الشعر العراقي المعاصر**



دار الشؤون الثقافية العامة
حقوق الطبع محفوظة
تعلنون جميع المراسلات الى
المدير العام
ورئيس مجلس الادارة
السيد فاروق خضر الدليمي
العنوان:

العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ . فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤
البريد الالكتروني dar @uruklink.net

المعارك الأدبية
حول تحرير المرأة
في الشعر العراقي المعاصر

تأليف
محمد جواد الغبان

الطبعة الأولى - بغداد - ٢٠٠٦

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق ببغداد ١٣٨ لسنة ٢٠٠٤

ما تقرأه في هذا الكتاب

(بين يدي الكتاب)

{ ١١ - ١٤ }

كيف تم إعداد هذا الكتاب ... ؟ ص ١١ - كانت البدايه محاضرة أدبية في (منتدى شومان الثقافي) في عمان عام ١٩٩٦ م ص ١٢ - وانتهى إلى كتاب جديد في موضوعه وفي مادته الأدبية - أول دراسة عن المعارك الأدبية حول تحرير المرأة في الشعر العراقي المعاصر ص ١٣.

تمهيد

(ملامح من حياة المرأة العراقية)

- قبل الدعوة إلى تحريرها -

{ ١٥ - ٢٠ }

ما هو المقصود بالدعوة إلى تحرير المرأة ؟ ص ١٨ - صورُ من معاناة المرأة العراقية ص ١٧ - التمييز في التعامل بين الأولاد (الذكور والإناث) ص ١٧ - تقاليد قاسية وقيود موجهة ص ١٨ - نماذج من تلك التقاليد والقيود ص ١٨ - التدخل في أخص خصوصيات المرأة ص ١٩ - أمور رأيناها وعاشناها في طفولتنا ص ١٩ - تناقضات في الحياة الاجتماعية للمرأة الريفية العراقية ص ٢٠ .

الفصل الأول

(الدعوة إلى تحرير المرأة العراقية)

{ ٢١ - ٢٩ }

البداية كانت في أواخر القرن التاسع عشر في مصر ص ٢٣ - دور قاسم أمين في الدعوة إلى تحرير المرأة ص ٢٣ - وجهة نظره في الموضوع ص ٢٤ -

كتابه (تحرير المرأة والمرأة الجديدة) يثيران عواصف المعارضة ص ٢٥ - ثباته أمام العواصف ص ٢٥ - طلعت حرب ضد قاسم أمين ص ٢٦ - باحثة البادية ومي زيادة في صف قاسم أمين ص ٢٦ - دور هدى شعراوي ص ٢٧ - كيف ومتى وصلت الدعوة إلى العراق ص ٢٧ - دور الصحافة المصرية في ذلك ص ٢٨ - أهمية دخول الطباعة إلى العراق ص ٢٨ - تفاعل الطبقة الواعية مع تلك الدعوة ص ٢٩ - انقسام كبير وخطير بين الشعراء حول ذلك ص ٢٩ .

الفصل الثاني (التجديد في الشعر العراقي المعاصر) (والدعوة إلى تعليم المرأة) { ٣١-٥٣ }

متى بدأ التجديد في الشعر العراقي...؟ ص ٣٣ - ومن هم ألمع رواده في العراق ص ٣٣ - نبوغ المُجدِّدين في الربع الأول من القرن العشرين ص ٣٣ - نماذج من أسمائهم ص ٣٣ - تحرير المرأة في مقدمة أغراض التجديد ص ٣٣ - التأييد أو المعارضة ليس تقدمية أو رجعية وإنما هو وجهة نظر ص ٣٤ - المرأة بين رعاية البيت والأمومة ، أو النزول إلى العمل ص ٣٥ - رأي للشيخ محمد رضا الشبيبي حول ذلك في قصيدته (سراب الآمال) عام (١٩٠٩م) ص ٣٥ - ترجمة الشيخ محمد رضا الشبيبي ص ٣٥ - رأي آخر حول الموضوع للشيخ علي الشرقي ... ترجمة الشرقي ص ٣٧ - أي الشعراء كان أسبق لذلك . هل هو حافظ إبراهيم في مصر ص ٣٨ - ترجمة لحافظ ص ٣٧ - قصيدة أخرى لمعروف الرصافي في الموضوع ص ٣٩ - ترجمة الرصافي ص ٣٩ - الشيخ جواد الشبيبي يعتبر الأم أول مدارس الحياة ص ٤٠ - ترجمة الشيخ الشبيبي ص ٤٠-٤١ - عودة إلى الرصافي حول قصيدته التربوية والأمهات ص ٤٢ - الزهاوي يدعو إلى تعليم المرأة ص ٤٢ - ترجمة الزهاوي ص ٤٢ - قصيدة أخرى لمحمود الحبوبي ص ٤٣ - ترجمة الحبوبي ص ٤٣ - محمد مهدي الجواهري يدخل معركة تعليم المرأة فيثير

ضجة في أسرته الدينية والمجتمع النجفي المحافظ ص ٤٥ - ترجمة للجواهري
ص ٤٥ - احتجاجات في النجف ضد فتح مدرسة للبنات ص ٤٦ - لماذا تلك
الاحتجاجات ص ٤٦ - قصيدة ثانية للجواهري توجع نيران الضجة ص ٤٨-٤٩ -
المحتجون يطلبون تدخل البلاط الملكي ص ٥٠ - الجواهري وجهاً لوجه أمام الملك
فيصل الأول حول الموضوع ص ٥٠ - شاعر مُجدّد آخر في النجف من الأسر
الدينية أيضاً يدخل حلبة ذلك الصراع ص ٥١ - ترجمة الشيخ صالح الجعفري
ص ٤٥ - قصيدة الجعفري ص ٥٢ - اجتماع أسرته الدينية ومثول الجعفري أمامهم
بشجاعة ص ٥٢ - الجعفري يعلن تغيير لقبه أمام شيوخ أسرته ص ٥٢ - رباعية
مثيرة للجعفري بعد قصيدته العنيفة ص ٥٣ .

الفصل الثالث

(الشعراء المُجدّدون) (ومشكلات تزويج المرأة)

{٥٥-٦٦}

الزهاوي يثور على حبس المرأة في البيت من خلال قصيدتين ص ٥٧ -
الشيخ محمد بهجة الأثرى يستنكر التفرقة بين المولود الذكر والأنثى ص ٥٨ -
ترجمة للشيخ الأثرى ص ٥٨ - استذكار للقصة الشهيرة لأبى حمزة الضبي حول
الموضوع ص ٥٩ - جوانب أخرى من معاناة المرأة يعالجها الأثرى في شعره ص
٦٠ - قصيدة للزهاوي حول تزويج المرأة بدون أخذ رأيها ص ٦١ - وقصيدة
للرصافي تعالج عدم تكافؤ السن بين الأزواج ص ٦١ - الشيخ الشببي يسخر من
عدم تكافؤ السن في الزواج ويستشهد بقاعدة القدر الجامع الفقهيّة ص ٦٢ -
معالجات الشيخ الشببي تتناول كل مشاكل المرأة ص ٦٢ - هجرة أهل الريف إلى
المدن ص ٦٣ - معالجة شعرية رائعة وساخرة لحياة أهل الأكواخ و أهل القصور
ص ٦٤ - بين جمال الطبيعة الريفية وصخب المدينة ص ٦٤ - تصوير بديع لحياة
أهل الترف ص ٦٤ - الدعوة إلى الثورة على تلك الأوضاع ص ٦٥ - ٦٦ .

الفصل الرابع (المعارك الشعرية حول السفور والحجاب) { ٦٧ - ١١٦ }

جدل صاخب بين الشعراء حول الدعوة إلى السفور ص ٦٩ - خوف الشعراء المعارضين للسفور من الانتهاء إلى الانفلات ص ٧٠ - تطرف الزهاوي في اندفاعه إلى السفور ص ٧٠ - ثورة الجمهور على الزهاوي ص ٧١ - انقسام آراء الصحافة حول السفور ص ٧١ - نماذج من شعر الزهاوي المؤيد للسفور في ثلاث قصائد ص ٧٢ - الزهاوي يتطرف فيعتبر الحجاب سبباً في تأخر المسلمين ص ٧٣ - عودة الزهاوي للموضوع في قصيدته (ثورة في الجحيم) ص ٧٣ - قصيدة خامسة للزهاوي حول الموضوع ص ٧٤ - تناقض بين آراء الزهاوي وحياته الخاصة ص ٧٥ - التزام السيدة حرمة بالحجاب الشديد ص ٧٥ - قصة حقيقية يرويها سلامة موسى حول ذلك ص ٧٥ - الرصافي يهيب بالمرأة العراقية ان تظهر على المسرح ص ٧٦ - قصيدة أخرى يدعو فيها الرصافي إلى السفور ص ٧٧ - ردود صاخبة على تلك القصيدة ص ٧٩ - الأثرى ينشر أعنف الردود في جريدة الرصافي ص ٧٩ - والرصافي يرد عليه بهدوء ص ٧٩ - الرصافي مرة أخرى يدعو إلى السفور ص ٨٠ - الرصافي أقل عنفاً وصخباً في دعوته من الزهاوي ص ٨٠ - شاعر مُجدّد من النجف الأشرف يشارك في الدعوة إلى السفور ص ٨٠ - قصيدة الشيخ صالح الجعفري طريفة المباني والمعاني تعتمد أسلوب التلميح ص ٨١ - وبعد عام واحد يترك ذلك الأسلوب إلى التصريح العنيف بقصيدة جديدة ص ٨٢ - انتهاء السفور إلى التبرج عند بعض السافرات يراه الجعفري ردة فعل طبيعية ص ٨٣ - التأكيد على أن الدعوة للسفور لا تتعدى الكشف عن الوجه واليدين ص ٨٤ - السافرات غاديات رائحات في الشوارع والأسواق ص ٨٤ - حافظ إبراهيم يندّد بذلك في قصيدة مشهورة ص ٨٥ - الشاعر العراقي عبد الحسين الأثري يرد على قصيدة الرصافي ص ٨٦-٨٧ - قصيدة ثائية للأثري هي من

أرق شعره ينصح فيها السافرات (المتبرجات) ويحذرن من المخاطر ص ٨٩ -
 عودة لانداد السفور إلى التبرج والتهتك ص ٩٠ - رائعة للأخطل الصغير يسخر
 فيها من ذلك الانحدار ص ٩١-٩٢ - ترجمة للأخطل الصغير ص ٩١ - قصيدة
 أخرى للأزري حول السفور ص ٩٣ - السافرات يقصصن شعورهن كالرجال
 ص ٩٣ - الأزري يرثي (الضفائر والغدائر) بقصيدة (الله ساتر) ص ٩٤ - الشيخ
 محمد علي اليعقوبي يعتبر ذلك السفور قشوراً بلا لباب ص ٩٥ - ترجمة لليعقوبي
 ص ٩٥ - الخلاعة في بغداد تستفز شاعرية محمود الحبوبي ص ٩٦ - والشيخ
 جواد الشبيبي ينير شاعريته سقوط الحجاب ص ٩٧ - قصيدة أخرى للشبيبي (يا
 ماطل الرعد) ص ٩٧ - نماذج رائعة منها ص ٩٨ - وفي آخرها يطلب العودة إلى
 الحجاب الشرعي ص ٩٨ - وأخيراً يضيق صدره فيجيش بقصيدة (ضاق الخناق)
 البديعة ص ٩٩ - الشبيبي يستهجن التدهور الخلقي الذي فتح السفور أبوابه
 ص ١٠٠ - الشبيبي ينعي على السافرة ان تكون (متمدنة) لا (متمدنة) ص ١٠١ -
 مُحجكة الشيخ الشبيبي (عبر الزمان) يستعرض فيها بؤس الوطن وشقاء
 المواطنين من جور الحكام الطغاة ص ١٠٢-١٠٣ - وينتهي بها إلى السفور الذي
 كانت نهايته الإبتدال ص ١٠٤ - نصائح كريمة يسديها الشاعر الكبير للفتيات ص
 ١٠٥ - الشاعر عبد الرحمن البناء يدخل معركة الدعوة إلى تعليم المرأة ومحاربة
 السفور ص ١٠٦ - ويؤكد الدعوة في قصيدة أخرى إلى طلب العلم ص ١٠٦ -
 وقصيدة ثالثة يؤكد فيها أن الحجاب لا يعيق المرأة عن طلب العلم ص ١٠٧ - وفي
 قصيدة رابعة يعبر بلسان المرأة أن يكف الداعون إلى تحريرها وسفورها عن ذلك
 ص ١٠٨-١٠٩ - عبد الرحمن البناء يقوم بتشطير رائعة الأخطل الصغير التي
 يسخر فيها من تبرج السافرات ص ١١١-١١٢ - والشاعر حسين الظريفي يصرخ
 في وجه أنصار السفور ص ١١٣ - كتاب مختارات في الحجاب والسفور بين
 الأسماء الصريحة والمستعارة ص ١١٤ - توصلنا إلى معرفة بعض الأسماء
 المستعارة ص ١١٥ - ختام الفصل بأبيات للشاعر الشيخ عبد الحسين الحلبي ص
 ١١٦ .

الفصل الخامس
(مطارحات الشعراء)
(حول زيارة أم كلثوم الأولى إلى العراق)
{ ١١٧ - ١٤٤ }

زيارة أم كلثوم أثارت أعنف معركة شعرية بين كبار الشعراء ص ١١٩ -
الزهاوي يلقي قصيدته الترحيبية بأم كلثوم أمام جمهورها المحتشد ص ١٢٠ -
١٢٣ - والرصافي يلقي قصيدته في حفلة أوتيل الهلال ص ١٢٤ - رائعة الشيخ
محمد باقر الشببي الرقيقة في استقبال أم كلثوم ص ١٤٥ - ١٣١ - وقصيدة الشاعر
إبراهيم أدهم الزهاوي ص ١٣٢ - وقصيدة أخرى للشيخ محمد بهجة الأثرى
ص ١٣٣ - وقوف الشيخ محمد جواد الشببي أمام كل أولئك الشعراء وبينهم ولده
الشيخ محمد باقر بقصيدته المُحجَّلة التي عبَّرَ فيها عن هموم العراق والوطن
العربي بأسره ص ١٣٤ - ويحذّر الشعراء من انشغالهم عن تلك الهموم بالغناء
والطرب وبالترحيب بأم كلثوم ص ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - نماذج رائعة من تلك
القصيدة الخالدة ص ١٣٨ - ١٤٤ - .

(كلمة الختام)
{ ١٤٥ - ١٤٦ }
استعراض مادة الدراسة ومنهج البحث
(كشاف الأعلام)
{ ١٤٧ - ١٥٥ }
(مصادر ومراجع الكتاب)
{ ١٥٦ - ١٦٠ }

بين يديّ الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

إنها دعوة كريمة توجّهت بها (مؤسسة عبد الحميد شومان) في
(عمّان) إلى كاتب هذه الدراسة تطلب منه المشاركة في نشاطها العلمي
والثقافي ، وذلك بإلقاء بحث أدبي في مواسمهم العلمية والثقافية ، فاستجاب
الكاتب لتلك الدعوة الموقّرة.

ولقد تم الاتفاق بين المؤسسة والكاتب أن يكون موضوع البحث (المعارك الأدبية حول تحرير المرأة في الشعر العراقي المعاصر) فُلقي هذا الموضوع من نفس كاتبه هوى بالغاً ورغبة صادقة ، وذلك للطرافة التي يتحلى بها، والجدة التي ينطوي عليها ، لأنه يؤرخ حقبة شعرية حفلت بالمعارك الأدبية حول مواضيع سياسية واجتماعية وأدبية ، ذات أهمية بالغة كانت من إفرازات النهضة الفكرية الحديثة التي تلالأت أضواؤها في الثلث الأول من القرن العشرين -الذي تتكون منه مساحة هذا البحث الزمانية - وثانياً لكون محتوى هذا البحث الأدبي غنياً كل الغنى بالمادة الشعرية الجديدة التي أثرت ديوان الشعر العراقي المعاصر ، وثالثاً لأن هذا الموضوع يكرّر في بابيه لم يُغنَ أحدٌ من الباحثين والمؤلفين بدراسته بالشكل الذي سيتولى هذا البحث عرضه فيه ، ورابعاً لأن معظم الشعر الذي ستزدان بآلئهِ وفرائده ثنايا البحث ومضامينه ، يعتبر - بحق - من أبدع وأروع الشعر المعاصر من حيث الشكل والمضمون مما جادت به قرائح نخبة من كبار شعراء العراق المجدّدين في الثلث الأول من القرن العشرين ممن لا يعرف ، حتى الكثير من العراقيين، بل والمعنيين بشؤون الأدب منهم - شيئاً عنهم وعن شعرهم الذي تناوله موضوع هذا البحث ، فضلاً عن غيرهم من الأدباء الآخرين في مختلف أقطار العروبة في مشرق الوطن العربي ومغربه .

ونتيجةً لذلك عكف الباحث على استقصاء مصادر البحث، والتنقيب عنها في مظائنها وإعدادها وإخراجها بالشكل الذي تفرضه طبيعة المنهجية العلمية من شمولية عامة ، وأمانة تامة ، وتجرّد صادق ، وعرضٍ نزيه ... مع التحري البالغ عن أصدق المعلومات وأدقّها .

ومن أجل أن يكون الباحث موضوعياً في بحثه فقد أعطى عهداً - طيلة مراحل البحث - بعدم التحيز إلى أي رأي من الآراء التي تقتضي طبيعة البحث عرضها ، وبيان وجهة نظرها ، لأنّ تجرّد الباحث ونزاهته وحياده

التام في استعراض الأفكار من أهم ما يضيفي المصداقية المنهجية على ما تنطوي عليه ثانياً بحثه .

ولما كانت المادة الأدبية التي تهيأت بين يدي الكاتب حول الموضوع - نتيجةً تتبَّعه الواسع - أكثر بكثير مما تتسع له مقالة ، أو محاضرة ، فإنَّ كاتب هذه السطور قام بإعداد تلخيص مُركَّز للمادة التي يحتويها هذا الكتاب ، وألقاه في (منتدى شومان الثقافي) في عَمَّان في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السبت المصادف ١٣/٨/١٩٩٦م ، وقد استغرق إلقاء المحاضرة ومناقشتها والإيضاحات اللازمة حولها أكثر من ساعتين .

ومن دواعي الاعتزاز أن لقيت تلك المحاضرة كل تقدير وثناء وإطراء من جمهور الحاضرين والمناقشين والمستوضحين على السواء .
آملين أن يلقي هذا البحث من قُرَّائه - ونحن ننشره كاملاً في كتاب خاص به - ما يستحقه من الاهتمام . وأن تتحقق في نشره الفائدة المرجوة منه بما يتناسب مع الجهود المبذولة فيه ، وأن يأخذ موقعه اللائق به في مكتبة الدراسات الأدبية حول الشعر الحديث .
والحمد لله أولاً وآخراً ...

مُحمَّد جواد الغُبَّان

العراق - بغداد - ص ب ٢٢٠٣٨

تمهيد

**ملامح من حياة المرأة العراقية
قبل الدعوة الى تحريرها**

لعلّ أول ما ينبثق إلى ذهن القارئ ويتبادر إلى فكره من الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة حول الموضوع الذي نحن في صدد الإلمام بشتى أطرافه والإحاطة بجوانبه كلها هو : ما المقصود بالدعوة إلى تحرير المرأة؟ وبعبارة أخرى أكثر دقةً وشمولاً : الدعوة إلى تحريرها من ماذا ؟

والجواب عن هذا التساؤل - وبكل بساطة - هو الدعوة إلى تحريرها من القيود القاسية والتقاليد الظالمة التي فرضتها عليها ترسبات المجتمعات المتخلفة التي جعلت المرأة العراقية - شأن أختها المرأة العربية - ترح تحت وطأة تلك القيود والتقاليد رداً طويلاً من الزمن امتد عدة قرون كانت المرأة خلالها تعاني ألواناً من الظلم وأشكالاً من التسلط الذي يبدأ معها منذ ولادتها حتى آخر يوم من أيام حياتها .

ويجدر بنا أن نقف - ولو وقفةً خاطفةً - عند بعض تلك التقاليد التي عاشتها المرأة العراقية ، والقيود الموجهة التي كبّلتها بها المجتمع ، ليكون ذلك الوقوف مدخلاً طبيعياً ننفذ منه إلى صميم الموضوع .

ولعلّ من أهم الأمثلة على ما كانت تكابده المرأة العراقية ، وتجرعه من مرارة ذلك التعامل القاسي هو : فقدانها حرية الرأي والتفكير ، والتعبير حتى عن أبسط الحقوق ، وأخص الخصوصيات فيما يمسُ صميم حياتها الشخصية ، فلم تسمح لها الأسرة ولا المجتمع في إبداء رأيها حتى في شريك حياتها الذي ستقضي معه عمرها كله بحلوه ومرّه ، بل لا يسمعون لها أي صوت في رفض من يتقدم للزواج منها إذا حظي ذلك المتقدم بموافقة أهلها مهما كان مستواه من حيث الخلق والسلوك والصفات والطباع .

وكنموذج آخر من تلك التقاليد المفروضة على المرأة : عدم السماح لها بالمشاركة في أي نقاش مما يتناقش به رجال الأسرة -نعم رجال الأسرة وحدهم لا نساؤها- من أب وأخ وعم وخال ، وزوج وابن وكنموذج آخر من تلك التقاليد حرمانها من نيل أي قسط من التعليم ، بل كانت غالب الأسر لا تسمح لها حتى بتعلم مبادئ القراءة والكتابة ... تلك جوانب من معاناة المرأة في مجال حرية الفكر والتعلم ، أما فيما يتعلق بالتقاليد الأسرية والاجتماعية العامة فإن النظرة المشؤومة إليها كانت تصاحبها عند الكثير من تلك الأسر منذ أن تفتح عينيها على نور الحياة ، فكم من أب إذا علم أن زوجته ولدت له بنتاً تقوم قيامته ولا تقعد ، وتُقَطَّب أسارير وجهه في وجه تلك الطفلة البريئة ، وفي وجه أمها المسكينة التي لا إرادة لها في ذلك الشأن ، وهكذا كان بعض الآباء في تصرفهم تجاه المولودة الأنثى يسلكون مسلكاً جاهلي النزعة ينطبق عليه وصف القرآن الكريم في قوله : (إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)^(١) وحين تنمو تلك الطفلة البريئة وتكبر ، تحس وتشعر حوالها بفرق شاسع ، وحكم صارم في التعامل معها من ذويها جميعا ، فهي مهما كانت هادئة ولطيفة ومهذبة فهي أقل شأنًا ومقاماً من أخيها (الولد) ، حتى لو كان ذلك الولد سيئ السلوك شرس الأخلاق غليظ الطباع لمجرد أنه (ولد)^(٢) ، ولمجرد أنها (بنت) ليس إلا^(٣) .

(١) سورة النحل (آية -٥٨-) .

(٢) الولد في اللغة العربية الفصحى تشمل الذكر والأنثى ، قال الله تعالى : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)(النساء: ١١) ولكننا في هذا السياق استعملنا كلمة (الولد)

وقبل أن تدخل الفتاة مرحلة النضج الأنثوي تفرض عليها تقاليد الأسرة والمجتمع إذا أرادت الخروج من بيتها في أداء واجب عائلي أو شخصي يجب عليها أولاً أن لا تخرج وحدها ، بل يجب أن ترافقها في خروجها إحدى كبيرات العائلة من أم أو جدّة أو عمّة أو خالة ، وكلما تكبر البنت يقلّ خروجها من البيت^(٤) ، وقد شاهدنا-ونحن أطفال صغار-كيف كانت أمهاتنا وأمهات الآخرين يتدثرن بعباءتين ، ويضعن البرقع السميكة على وجوههن ، وكان لا يُسمح لهن بالخروج من المنزل إلاّ بالنهار ، وحتى جداتنا العجائز لا تشفع لهن شيخوختهن وكبر سنهن أن يسفرن عن وجوههن ، وإذا خرجن من بيوتهن فيجب عليهن أن يتجنبن السير في الشوارع المكتظة بالناس ، والمرور على المقاهي والمحلات العامة ، وكنا نرى بأعيننا - إبّان طفولتنا - المرأة حين تسير في شارع أو زقاق ضيق ، وتصادف رجلاً يمرّ بذلك الطريق فما عليها إلاّ أن تقف مكانها لئلا يرى الرجل حركات مشيتها ، ولا بد لنا ونحن نستعرض ظروف المرأة الاجتماعية من الإشارة إلى أن كثيراً من الناس آنذاك -إن لم يكن كلهم - كانوا يتحاشون ذكر أسماء أمهاتهم أو زوجاتهم أو بناتهم أمام الغرباء ، لأن ذكر تلك الأسماء يخدش الحياء والكرامة ... تلك نماذج من ظروف المرأة

=بالمعنى الذي يستعملها فيه الناس في البلاد العربية -وفي لغتهم العامية- عامة ، وفي العراق بصورة خاصة حيث تعني الذكر لا الأنثى .

(٣) الشعر العراقي : أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر د. يوسف عز الدين طبعة دار المعارف القاهرة (١٩٧٧م) ص (٢١) وما بعدها .

(٤) الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية ، د.يوسف عز الدين طبعة دار المعارف القاهرة (١٩٧٧م) ص ٢١١ - .

الاجتماعية وحياتها في المدن ، أما في الريف فقد كُنّا نشاهد فيه المتناقضات، حيث رأينا- بأم أعيننا -المرأة الريفية سواء كانت أمّاً أو زوجاً أو أختاً أو بنتاً تقوم بكل أعمال البيت على ما فيها من مشقة في تلك الأيام ، فهي تطحن وتخبز وتطبخ وتصنع اللبن بالإضافة إلى ما تقوم به من إدارة شؤون البيت وتربية الأطفال ، ومع كل تلك الأعمال المرهقة فهي تشارك الرجل في أغلب أعماله فترعى معه الماشية ، وتساعد في الحرث والبذر والسقي والحصاد ، ومع ذلك كله فهي لا تلقى منه شيئاً من التقدير أو الاحترام ، ولا يُسمع لها رأي أو كلمة في أي شأن من شؤونها الخاصة ، ذات الأهمية البالغة في حياتها ، فإذا زُوِّجَتْ ، فإن ذلك غالباً ما يتم بدون أدنها في عملية ربما تكون أقرب إلى عمليات البيع والشراء .

تلك صورٌ خاطفة ترسم بعض الملامح والخطوط العامة لحياة المرأة العراقية التي نتبين من خلالها كيف كانت تعيش المرأة تحت وطأة ظروف وتقاليد مثقلة بإرهاقها وحرمانها من كثير من حقوقها الشرعية ، كأن لم تكن المرأة هي الوجه الآخر للعملة الإنسانية الواحدة التي شاء لها خالقها سبحانه أن يُمثّل الرجل وجهها من جانب ، وتمثّل المرأة وجهها من الجانب الآخر ، فهي شريكة الرجل في تحمل أعباء الحياة وإدارة شؤون الأسرة مما لا يمكن معه لأحدهما الاستغناء عن الآخر في العمل على رُقْيِ الأسرة والمجتمع وتقدمه وازدهاره ضمن قيود معقولة ، وضوابط شرعية واجتماعية مقبولة .

الفصل الأول

الدعوة الى

تحرير المرأة العراقية

ظلت المرأة العراقية -مثل أختها العربية- تعاني من اضطهاد التقاليد والتسلط الاجتماعي حتى بدت تباشير فجر النهضة الحديثة في أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ... تلك النهضة التي شملت أغلب نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والأدبية . وكان مما نادى به تلك النهضة الدعوة إلى تحرير المرأة مما تكابده من صنوف التخلف في شتى مجالات الحياة ، فكانت الدعوة إلى إعطائها حقوقها المشروعة في التعليم ، والسفور الشرعي ، واحترام آرائها فيما يتعلق بشؤونها العامة والخاصة .

ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا : إن بدايات تلك الدعوة انبعثت من مصر في نهاية القرن التاسع عشر وذلك بفضل بعض الأعمال الإصلاحية التي تبناها (الخديوي إسماعيل)^(٥) الذي أقام في القاهرة حوالي سنة (١٢٩٥ هـ - ١٨٧٣ م) أول مدرسة للبنات مما دفع بعض النسوة المصريات إلى هجر الزائد من الحجاب ، والسفور عن الوجه طبق ما سمحت به الشريعة الإسلامية قبل أربعة عشر قرناً .

غير أن النصير الحقيقي لحركة تحرير المرأة ، والداعية المتحمس لسفورها وتعليمها و إعطائها حقوقها المشروعة في العصر الحديث هو (قاسم أمين)^(٦) حيث أصدر كتابه (تحرير المرأة) عام (١٨٩٩ م) الذي

(٥) إسماعيل باشا (١٨٣٠-١٨٩٥) الابن الأكبر لإبراهيم باشا خلف عمه سعيد باشا ، بنى كثيراً من القصور ودار الأوبرا وأكمل حفر قناة السويس وفتحها عام (١٨٦٩م) - انظر (الموسوعة العربية الميسرة) بأشراف محمد شفيق غريبال (طبعة القاهرة ١٩٦٥ م) .

(٦) قاسم أمين ولد عام ١٨٦٣ أو ١٨٦٥م وتوفي عام ١٩٠٨م ، قاض وكاتب عربي ولد بـ(طرّة) في مصر من أصل كردي ونشأ بالإسكندرية وبها تعلم ، وعاش في القاهرة وبها توفي ، تعلم في الأزهر الشريف ، وكان على صلة وثيقة بالإمام الشيخ محمد عبده ، وبالزعيم =

استنكر فيه إبقاء المرأة في حالة خضوع وخنوع ، وطالب المجتمع برفع يد التسلط والتحكم عنها ، ونادى بحقها في التعلم ، وبإسقاط الحجاب الزائد عن الحدود الشرعية .

ويجب التنبيه هنا إلى أن (قاسم أمين) لم يطالب بإلغاء الحجاب كله بحيث يُؤدّي إلى التبرج ، و إنما اقترح أن يبقى من الحجاب ما يتماشى مع تعاليم

=المصري سعد زغلول ، درس القانون بجامعة مونبيلييه في فرنسا وعاد إلى مصر عام ١٨٨٥م وعمل في النيابة والقضاء ، اشتهر بدفاعه عن قضية المرأة العربية والدعوة إلى سفورها وتعليمها ، وكان يعتمد في أسلوبه على الحجة والإقناع الهادئ لا على الأسلوب الخطابي ، ولقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقي - كما في ديوانه (الشوقيات) ج ٣ ص ٧٦ - بقصيدة عنوانها : (قاسم بك أمين) جاء في هامشها : (المرحوم قاسم بك أمين هو الزعيم صاحب دعوة تحرير المرأة في مصر ، وقد توفى في سنة ١٩٠٩) . ومطلعها

يا أيها الدمع الوفي بدار . نقضي حقوق الرفقة الأخيار

إلى أن يقول مشيراً إلى دعوته لتحرير المرأة

ماذا رأيت من الحجاب وغسره فدعوتنا لترفق ويسر

رأي بدا لك لم تجده مخالفاً ما في الكتاب وسنة المختار

والباسلان : شجاع قلب في الوغى وشجاع رأي في وغى الأفكار

إن الحجاب سماعة ويسارة لولا وحوش في الرجال ضواري

جهلوا حقيقته ، وحكمة حكمه فتجاوزوه إلى أذى وضرار

.. انظر : دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية - المجلد الثالث عشر) ط مصر دار الشعب ص ٣٢١ ، والموسوعة العربية الميسرة و(الأعلام) للزركلي ، و ديوان أحمد شوقي (الشوقيات)

الدين القويمة ، مشيراً إلى أنه لا يوجد في الشريعة الإسلامية ما يُبرر استعمال ذلك الحجاب بالشكل الذي كان شائعاً آنذاك^(٧) ، وعلى أية حال فقد أثار كتاب قاسم أمين ضجة عنيفة وجدلاً صاخباً وهجوماً شديداً عليه وعلى آرائه ، ولكنه وقف صامداً أمام تلك الزوبعة الهائجة ، ولم يضعف أمام التهديدات الصارخة ، بل تولى الرد على معارضيه في كتابه الثاني الذي أسماه (المرأة الجديدة) والذي أصدره عام (١٩٠٠م) ، فهزّ هذان الكتابان

(٧) ينظر في ذلك (دائرة المعارف الإسلامية - الترجمة العربية المجلد الثالث عشر) ط مصر دار الشعب في مادة (الحجاب) .

ولقد جاء في كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين ما نصه : (ربما يتوهم ناظر أنني أرى الآن رفع الحجاب بالمرّة ، لكن الحقيقة غير ذلك فإنني لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلاً من أصول الأدب التي يلزم التمسك بها ، غير أنني أطلب أن يكون منطبقاً على ما جاء في الشريعة الإسلامية ، وهو على ما في تلك الشريعة يخالف ما تعارفه الناس عندنا ، لما عرض عليهم من حب المغالاة في الاحتياط والمبالغة فيما يظنون أنه عملاً بالأحكام ، حتى تجاوزوا حدود الشريعة وأضرّوا بمنافع الأمة ...) - نقلاً عن كتاب (المرأة الجديدة) لقاسم أمين ط (٢) سنة ١٩٤١م - وجاء قوله في الكتاب نفسه وفي ص ٥٩ منه ما نصه : (لو أن في الشريعة الإسلامية نصوصاً تقضي بالحجاب على ما هو معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب علي اجتتاب البحث فيه ، ولما كتبت حرفاً يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرّة في ظاهر الأمر لأن الأوامر الإلهية يجب الإذعان لها بدون بحث ولا مناقشة لكننا لا نجد نصاً في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة و إنما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها ، وبالفعل فيها والبسوها لباس الدين ، ولذلك لا نرى مانعاً من البحث فيها بل نرى من الواجب أن نلّم بها ونبين حكم الشريعة في شأنها وحاجة الناس إلى تغييرها) - نفس المصدر ونفس الطبعة - .

مصر، وثارت المشاعر حولهما، وتأججت نيران المعارضة، وكان (طلعت حرب)^(٨) من بين أكبر قادة حرب المعارضة لحركة قاسم أمين، وكتب في الردّ عليها كتابين يطالب فيهما باسم الدين الالتزام بالنظام القديم للتعليم . ولا بدّ لنا أن نشير هنا الى أن أغلب النساء كانت في صف قاسم أمين، فقامت (ملك حفني ناصف) المعروفة بلقب (باحثة البادية)^(٩) بنشر (النسائيات) التي كتبها قاسم أمين ، كما أن (مي زيادة)^(١٠) كتبت سلسلة من المقالات حول هذه المسألة وأهدتها إلى زميلتها (باحثة البادية) .

^(٨) طلعت حرب (١٨٦٧ - ١٩٤١) راند النهضة الصناعية والاقتصادية في مصر أنشأ شركات عديدة ، وقام بتأسيس بنك مصر عام ١٩٢٠م (انظر الموسوعة العربية الميسرة) .
^(٩) باحثة البادية لقب (ملك بنت حفني ناصف) - ١٨٨٦ - ١٩١٨م - كاتبة وشاعرة وخطيبة . كانت أشهر فضليات المسلمات في عصرها في مصر ، ومولدها ووفاتها في القاهرة ، تعلمت في المدارس المصرية وأحرزت الشهادة العالية وأحسنّت الإنكليزية والفرنسية واشتغلت بالتعليم في مدارس البنات الأميرية ، ثم تزوجت بعبد الستار الباسل . لها كثير من المقالات في (الجريدة) جمعتها في كتاب أسمته (النسائيات) في جزعين . وللأديبة مي زيادة كتاب مطبوع أسمته (باحثة البادية) درست فيه أثرها في النهضة النسائية (انظر الاعلام للزركلي) .
^(١٠) مي زيادة (١٨٨٦ - ١٩٤١م) هي ماري بنت الياس زيادة المعروفة بـ (مي زيادة) أديبة كاتبة نابغة ، وهي لبنانية الأصل ، وانتقلت إلى مصر مع أبويها ، أتقنت مع العربية كلاً من الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية ، أشهر كتبها المطبوعة : (بين المد والجزر ، باحثة البادية سوانح فتاة ، الصحائف ، كلمات وإشارات ، ظلمات وأشعة ، ابتسامات ودموع) . قال فيها مصطفى عبد الرازق : (أديبة جيل ، كتبت في الجرائد والمجلات . وألفت الكتب والرسائل ، وألقت الخطب والمحاضرات ، وكانت تعقد للأدباء في دارها مجلساً أسبوعياً كل يوم ثلاثاء ..) وفيها قال الشاعر المصري إسماعيل صبري بيته المشهور :

إن لم أمتع (بمي) ناظري غداً أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

وقد ألفت وطبعت كتب كثيرة حول حياة مي زيادة وعطائها الفكري والأدبي (الاعلام

للزركلي) .

وإذا كان قاسم أمين هو المؤقد الحقيقي لأول شرارة في طريق تحرير المرأة ، فإن الحركة النسائية المصرية تمت نشأتها الحقيقية الناضجة عام (١٩٢٥م) على يد السيدة (هدى شعراوي باشا)^(١١) حيث خلعت الحجاب عام (١٩٢٦م) ، والمقصود هنا بخلع الحجاب هو السفور عن الوجه فقط ، والإبقاء على اللباس المحتشم الذي لا يبدي أي شيء من جسم المرأة ومفاتنها ، فتأسست بهدى شعراوي أعداد متزايدة من النساء المصريات الأخريات .

إنّ فالدعوة إلى تحرير المرأة بدأت من مصر ، وانتقلت منها إلى سوريا ولبنان من بلاد الشام ، وسرعان ما تخطت تلك الدعوة الحواجز الكثيرة واجتازت المسافات الشاسعة بسرعة مذهلة ، فوصلت بكل تفاصيلها وجميع أهدافها إلى العراق الذي فتح لها ذراعيه ، فكان لها في مختلف أوساطه صدى بالغ .

ومما ساعد على سرعة وصول تلك الدعوة إلى العراق وانتشارها فيه هو أنّ تلك الآراء الاجتماعية التي انبثقت من مصر ، عُيّنت بها الجرائد

(١١) هدى شعراوي (١٨٧٩ - ١٩٤٧) هي هدى بنت محمد سلطان باشا رئيس أول مجلس نيابي في مصر . وحيث تربية ، ترأست الحركة النسائية في عصرها ، ولدت في (ألمانيا) من بلاد الوجه القبلي بمصر ، وانتقل أبواها إلى القاهرة فنشأت بها ، وجينت بمعلومات تلقت عنهنّ مبادئ العلوم ، واللغتين التركية والفرنسية ، والموسيقا ، وتزوجت علي باشا الشعراوي أحد أعضاء الجمعية التشريعية ، ولما انفجرت ثورة مصر على الإنكليز عام (١٩١٩م) تقدمت المظاهرات النسائية وهي سافرة ، فكانت أول مصرية مسلمة رفعت الحجاب ، توفي زوجها عام ١٩٢٢م فخلف لها ثروة ضخمة ، وفي سنة (١٩٢٣م) ألّفت جمعية الاتحاد النسائي بمصر ، وشاركت في كثير من أعمال البر ، وحضرت عدة مؤتمرات نسائية عالمية ، وأصدرت مجلة (المصرية) ، انظر (الأعلام للزركلي)

المصرية وذلك بتأييدها ، أو رفضها والردّ عليها. وكانت تلك الجرائد تصل الى العراق فتتلقفها أيدي الطبقة المتنورة من الجيل الجديد الذي يحتضن كل دعوة فيها تجديد ، وفيها تمرّد وثورة على القديم . ومن المفيد هنا أن نشير الى أن ما كان يرد الى العراق من الجرائد والمجلات العربية وغير العربية في العقد الثاني من القرن العشرين يُقدّر بحوالي خمسة آلاف نسخة أسبوعياً^(١٢)، ومن بين الصحف والمجلات المصرية التي كانت تصل الى العراق آنذاك (العروة الوثقى) و(المقطم) و(المقتطف) و(الهلال) و(المؤيد)^(١٣) وهي - بحق - الرسول الأمين المعبر عن النهضة الفكرية في مصر ، لأن تلك الصحف والمجلات كانت حافلة بأراء وأفكار المجددين من أعلام اليقظة الفكرية والوطنية والاجتماعية ، ويضاف الى تلك الصحف ما كان يرد الى العراق من كتب التراث العربي الأصيل التي أخرجتها الطباعة الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في كل من الاستانة ومصر والشام وإيران والهند^(١٤) مما كان سبباً في جعل تلك الكتب التراثية المهمة ذات الأساليب الأصيلّة غير المتكلفة في متناول أيدي الطبقة المتنورة الحديثة . وقبل هاتيك الصحف وتلك الكتب يجب أن لاتفوتنا الإشارة الى أن دخول الطباعة الى العراق كان بداية الإيذان بالتهيو والتطلع الى انبثاق فجر النهضة الفكرية ، ولعل من المفيد هنا أن نسجل أن أول مطبعة حجرية دخلت العراق هي (مطبعة كربلا الحجرية) عام ١٨٥٦ م ، ثم تلتها (

(١٢) نقلاً عن مقال منشور في جريدة البلاد البغدادية الصادرة في ١٩٣٥/٢/٧م حسبما ورد في

الشعر العراقي الحديث د. يوسف عز الدين ط القاهرة عام ١٩٧٧ ص ٢١٢ .

(١٣) الشبيبي الكبير (الشيخ محمد جواد الشبيبي حياته وأدبه) حمود الحمادي - مطبعة النعمان

النجف - العراق - ١٩٧٢م انظر ص ٨٨ .

(١٤) المصدر نفسه ص - ٨٥ - .

مطبعة الموصل) عام ١٨٦٠م ، ثم جاء بعد ذلك الوالي العثماني (مدحت باشا) بمطبعة الولاية من باريس عام ١٨٦٩م لطبع أول جريدة عراقية وهي جريدة (الزوراء) ^(١٥) التي صدرت يومذاك بالتركية والعربية .. وبعد ذلك انتشرت المطابع التي كانت عاملاً مهماً من عوامل انتشار المعرفة بما أصدرته من مطبوعات جعلتها في متناول أيدي الناس بعد أن كانوا لا يعرفون عنها شيئاً .

ونتيجةً لمجموع تلك العوامل أصبحت الطبقة الواعية من متعلمي العراق ومثقفيه منفتحين على كل عطاء فكري جديد ، ودعوة اصلاحية حديثة تأتيهم من مصر أو غيرها ، فيتفاعلون معها سلباً أو إيجاباً .. ومن هنا بدأ توهج الحركة الفكرية المتجددة ، وتوقدُ التفتح الذهني المتنور ، ولعل أبرز ملامح ظهور التطور والتجديد الذي غمر كل جوانب الحياة هو تألق الجانب الأدبي وازدهاره حيث بدأ كثير من الأدباء والشعراء - نتيجةً لانغمارهم في تيارات تلك النهضة - ينفضون عنهم غبار التقليد والجمود ، وينبذون أساليب الفترة المظلمة المثقلة بالجفاف والتكلف ، وإذا بهم يملأون عطاءهم الأدبي بالأفكار الجديدة والمعاني الحديثة بأسلوب مشرق وبيان ناصع ، لا جمود فيه ولا تكلف ، مما جعل له التأثير البالغ في نفوس سامعيه وقارئيه .

(١٥) المصدر نفسه ص - ٨٥ - .

الفصل الثاني

التجديد في الشعر العراقي المعاصر والدعوة الى تعليم المرأة

لقد نبغ في أواخر القرن التاسع عشر وخلال الربع الأول من القرن العشرين ألمع شعراء العراق المُحدثين ، وأبرز أدبائه المُجدّدين الذين سرعان ما تَلَأَّتْ أسماؤهم في سماء النهضة الأدبية الحديثة في العراق وسائر آفاق الوطن العربي الكبير ، فأصبحوا رواد التجديد الشعري العراقي المعاصر ، وأسماؤهم كثيرة ، ويكفي الحركة الشعرية الحديثة المُجدّدة فخراً أن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ محمد جواد الشبيبي ، وجميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي والشيخ محمد رضا الشبيبي ، والشيخ علي الشرقي ، والشيخ محمد باقر الشبيبي ، ومحمد مهدي البصير ، وأحمد الناصفي النجفي ، ومحمد علي اليعقوبي ، وعبد الحسين الأزري ، ومحمود الحبوبى ، وصالح الجعفري و .. و .. ومسك ختام تلك الأسماء الشعرية اللامعة في الربع الأول من القرن العشرين ومن أكبر المُجدّدين فيه هو شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري .

وبما أن الشعراء بحكم طبيعتهم التي جَبَلُوا عليها - في الطليعة من أبقاء المجتمع رهافة وإحساساً ، وتعبيراً عن المشاعر التي تختلج في النفوس ، كما أنهم بحكم انفتاحهم الذهني ، وتطلعهم الدؤوب إلى كل جديد يعمل على تطوير الحياة ، أو تغييرها ليُعَبِّروا عن مشاعرهم تجاهه ، وتفاعلهم معه ، أو نفورهم منه ، لذلك كانت الدعوة إلى تحرير المرأة في صميم اهتماماتهم وتوجهاتهم . وحين اهتزَّ المجتمع العراقي اهتزازاً عنيفاً بأصداء تلك الدعوة ، واحتدم الصراع بين المؤيدين والمعارضين لها ، ألقى الشعراء بأنفسهم في عنفوان ذلك الصراع المُحتدم ، فكان منهم المندفعون

المتحمسون المتطرفون في تأييد الدعوة ، والمندفعون المتحمسون المتطرفون في رفضها ، كما كان هناك طرف ثالث من الشعراء لم يخوضوا لجة الصراع بالعواطف المتأججة والمشاعر الملتهبة ، بل خاضوها بتعقل وروية ، فلم يبدوا فيها من الآراء إلا ما كان مدعوماً بالحجج والتعليقات المقتنعة من غير تهريج وصراخ .

وأرى هنا من الواجب تصحيح الوهم الذي وقع فيه جميع الذين تعرضوا في دراساتهم ومؤلفاتهم إلى موضوع الصراع بين مؤيدي تحرير المرأة ومعارضيه ، حيث جعلوا منه صراعاً بين التقدميين والرجعيين ، أو المجددين والمحافظين ، أو المتحررين والتقليديين .. إلى غير ذلك من التسميات التي أطلقها عليهم أولئك الكتاب في كتاباتهم ، وليس الأمر في رأينا كذلك ، وإنما هو - بكل بساطة - لا يتعدى الإعراب عن وجهة نظر خاصة لكل واحد منهم حول ذلك الموضوع ، ودليلنا على ذلك أن الذين عارضوا الدعوة للسفور - مثلاً - ووقفوا في وجهها لم يكن بسبب من رجعية أو جمود في تفكيرهم ، وإنما كان بسبب من توجسهم خيفة عما سينتهي إليه الأمر من الإنفلات ، وربما صدقت هواجس الكثيرين منهم على ما ستأتي الإشارة إليه وتوضيحه في مكانه من هذا البحث ، وبناءً على ذلك فلم يكن وقوفهم ضده نتيجة تعصب ورجعية ، أو تشدد وتزمت ، وإنما هو - كما قلنا - لا يتعدى التعبير عن وجهة نظر خاصة أساسها التخوف من عواقب كانوا يرونها غير محمودة ، وسيظهر لنا في ثنايا هذا البحث أن الذين تشددوا في الوقوف بوجه السفور من الشعراء هم أنفسهم قد عالجوا في شعرهم كثيراً من مشاكل المرأة الاجتماعية التي لم يتطرق إلى معالجتها حتى أولئك الذين أسرفوا في الدعوة إلى السفور. ذلك من جانب ، ومن

جانب آخر فإن المطالبة بتحرير المرأة التي تعالت أصواتها من مصر مطالبة بنزول المرأة إلى ميادين العمل العامة لمشاركة الرجل في كثير من مسؤولياته وقف منها بعض شعراء النهضة الحديثة موقفاً مقترباً بشرط هو غاية في الأهمية ، وذلك بالتأكيد على أن لا تنسى المرأة دورها الأمومي الخطير الذي هياً الله تعالى طبيعتها له للقيام بتربية النشء و إعداد الأجيال الصالحة ، وذلك بتعهدها براعم الطفولة بالرعاية والتربية ، فالأم من هذا الجانب هي المدرسة الأولى وأستاذة الأساتيد ، وكما خلق الله الرجل مؤهلاً في تكوينه الطبيعي إلى مهمات ومسؤوليات يختص بها وتختص به ، فإن المرأة قد هيأتها الطبيعة التي منحها الله إياها لأعمال ومسؤوليات لا يمكن أن ينوء بأعبائها الرجل ، فالدعوة إلى نزول المرأة لميادين العمل العامة - يجب قبل كل شيء - أن لا تكون على حساب رسالتها المقدسة (الأمومة) التي كانت وما تزال منذ الأزل وستبقى إلى أبد الآبدين من أقدس الرسائل الإنسانية ، لذلك فليس غريباً أن نجد شاعراً كبيراً من أعظم رواد النهضة الأدبية في العراق وهو الشيخ محمد رضا الشبيبي^(١٦) يرى أن الطبيعة

(١٦) الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٥) ابن الشيخ محمد جواد الشبيبي يعتبر من أكبر شعراء النهضة الأدبية الحديثة ، يمتاز شعره بالجزالة وصدق العاطفة وبأغراضه الوطنية والقومية والإنسانية وهو من الشعراء المجددين في الأفكار والأساليب . قامت بطبع ديوانه جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف عام ١٩٤٠م في مطبعة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة . والشيخ محمد رضا الشبيبي من أعف وأنظف رجال السياسة والوطنية إبان الحكم العثماني ، والاحتلال البريطاني ، والحكم الوطني في العراق ، تقلد الوزارة أكثر من مرة وترأس مجلس النواب ومجلس الأعيان غير مرة ، كما كان رئيساً للمجمع العلمي العراقي حتى انتقاله إلى رحمة الله تعالى . وله مؤلفات عديدة منها المطبوع ومنها المخطوط .

البشرية هي التي تحكمت في الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتق كل من المرأة والرجل ، إذ لا يمكن للحياة أن تكون بشكلها الأمثل إلا إذا قام كل من النساء والرجال بما هيأتهما له طبيعتهما البشرية ، فيقول الشيخ محمد رضا الشبيبي في هذا الشأن من قصيدة عنوانها (سراب الآمال) التي نشرتها مجلة (العرفان) الصيداوية عام (١٩٠٩م) ومطلعها :

دعوتك أن تهب إلى المعالي
ودعواي الخيال من الخيال

إلى أن يقول فيها مما هو محل الشاهد منها :

وأرباب الحجا لهم حقوق
بنسبتهم كربات الحجال
بتدبير المنازل هن أولى
وهم أولى بتدبير النزال
ولو كلفن جلب الرزق كانت
وظيفتهن طوع الاختلال
ومن للنسل تربية وحفظاً
إذا ساويننا في كل حال
فيا بنت الكمال نعمت بالاً
ولست أقول يا بنت الدلال
صنيعك لليمين تقوم فيه
مفاخرة ، ومهدك للشمال^(١٧)

(١٧) انظر (ديوان الشبيبي) ط القاهرة - مطبعة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠ ص ١٠٠.

ويتجلى لنا بوضوح حرص شاعرنا الشبيبي على مهمة المرأة الأساسية التي تتركز على أمومتها التي تعنى بتربية الناشئة مع عدم التفریط بحقوقها المشروعة في العمل والتعليم الذي يعمل على تحقيق طموحاتها في الكمال .

وهذا شاعر آخر من جيل الشبيبي ، ومن رواد الشعر الحديث في مطلع القرن العشرين هو الشيخ علي الشرقي^(١٨) الذي يعتبر صدر المرأة الحنون هو بيت الحياة ، وحياة البيت فيقول من قصيدة في نفس المعنى الذي نحن بصددده ، وهي منشورة في (مجلة العرفان) الصيداوية في حزيران من عام (١٩١٠م) عنوانها : (الشرقية أو عذراء الشرق) ومطلعها :
تبسم كالليالي المقبلة ولا تبك الليالي الماضية
إلى أن يقول مما هو محل الشاهد ، وهو كما نراه يفيض رقة وسلاسة وعذوبة .

فيا صدر الفتاة ولست إلا

حياة البيت أو بيت الحياة

حنانك.. هل عطف على صبي

تلقى منك أسنى العاطفات

^(١٨) الشيخ علي الشرقي (١٨٩٠-١٩٦٤) واكب مسيرة الجهاد ضد الإنكليز وكان مرافقا لقائدها العالم المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبى . يعتبر الشرقي من أكبر رواد النهضة الأدبية في العراق الحديث وكان له دوره البارز في تطوير الشعر العراقي المعاصر شكلا ومضمونا في مختلف الموضوعات السياسية والاجتماعية ، ويمتاز شعره برقة الأسلوب ونصاعة التعبير والأفكار البديعة الجديدة ، وأكثر ما كان يؤدي أغراضه الشعرية بالكنايات والاستعارات . وفي شعره أبيات كثيرة شائعة تردد على كل لسان من أبناء جيلنا ، وقد طبعت وزارة الإعلام العراقية ديوان شعره عام ١٩٧٩م بتحقيق إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي ، وله عدة مؤلفات أخرى مطبوعة .

بكيت على البنات دماً بعين

بكت من قبلها للأمهات^(١٩)

ويجب التنبيه هنا إلى أن أفكار أولئك الشعراء العراقيين الرواد التي أشرنا إليها ، وعرضنا نماذج منها حول اعتبار الأم مدرسة الحياة الأولى هي أسبق تاريخياً من الفكرة التي عرضها شاعر النيل حافظ إبراهيم^(٢٠) في قصيدته (مدرسة البنات في بور سعيد) التي نظمها عام ١٩١٠م لإعانة تلك المدرسة ، ومطلعها :

كم ذا يكابد عاشق ويلقي

في حب مصر كثيرة العشاق

ويقول فيها داعياً إلى تربية النساء ومنبهاً على الدور الأساس الذي تقوم به المرأة في تربية الأجيال :

من لي بتربية النساء فإنها

في الشرق علة ذلك الإخفاق

(١٩) انظر (ديوان الشرقي) ط وزارة الإعلام العراقية بغداد ١٩٧٩ م ص ٤٢ وفيه أن القصيدة نظمت عام ١٩١٠م.

(٢٠) حافظ إبراهيم شاعر النيل (١٨٧١-١٩٣٢م) محمد حافظ بن إبراهيم فهمي الشهير — (حافظ إبراهيم) شاعر مصر القومي ومدون أحداثها نيقاً وربيع قرن ولد في (ديروط) بمصر ، وتوفي أبوه بعد عامين من ولادته فنشأ يتيماً ، التحق بالمدرسة الحربية وتخرج ١٨٩١م واشتغل في الجيش فترة ثم أحيل على المعاش ، طار صيته واشتهر شعره فلُقب (شاعر النيل). وعين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية سنة ١٩١١م إلى قبيل وفاته . توفي بالقاهرة وديوانه مطبوع بجزءين كتبت عنه دراسات عديدة (أنظر الأعلام للزركلي) وضبط ديوانه وشرحه ورتبه وصححه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري .

إلى أن يقول فيها مما هو محل الشاهد عن النساء :
في دورهن شؤونهن كثيرة

كشؤون رب البيت والمزراق

والمزراق الرمح .. ويريد في هذا البيت : أن شأن المرأة في بيتها لا يقل عن شأن الرجل الفارس في الحروب التي هي من اختصاصات الرجال ، والبيوت التي تكون إدارتها ورعايتها والعناية بها من اختصاصات النساء^(٢١).

وفي الفترة نفسها نظم (معروف الرصافي)^(٢٢) قصيدته المشهورة (التربية والأمهات) التي يُصوّر في مقاطع منها أثر الأم في تربية الطفل ودورها الكبير في تغذية الناشئين بالحنان والعاطفة والخلق الكريم مما يجعلها المدرسة الأولى الأساسية التي لها أبلغ الأثر في تربية الأجيال فيقول:

(٢١) انظر قصيدة (مدرسة البنات ببور سعيد) في ديوان حافظ إبراهيم - ج ١ ص ٢٧٩ .
(٢٢) معروف بن عبد الغني الرصافي (١٨٧٥-١٩٤٥م) وُلد في بغداد من أب كردي وأم قراغولية أشهر أساتذته العلامة محمود شكري الألوسي حيث لازمته أكثر من اثنتي عشرة سنة. ويذكر العلامة الزركلي في (أعلامه) أنه ولد (١٨٧٧) . من أكبر شعراء العراق في عصره . انتخب نائباً في مجلس (المبعوثان) العثماني. وعمل أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين العالية ببغداد ، كما انتخب عضواً في مجلس النواب ، وعاش آخر أيامه في شبه انزواء عن الناس إلى أن توفّي ببيته في الأعظمية ببغداد . له مؤلفات كثيرة مطبوعة ، وكتبت عنه دراسات عديدة ، وطبع ديوان شعره أكثر من مرة ، انظر (الأعلام) للزركلي .

وأوثق طبقات ديوانه وأوسعها وأوفاهها وأغناها بالشروح الطبعة التي أصدرتها وزارة الأعلام العراقية بين سنة (١٩٧٢-١٩٧٧م) بتحقيق وتعليق الأستاذ مصطفى علي .

هي الأخلاق تنبت كالنبات	إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهد لها المربي	على ساق الفضيلة مثمرات
ولم أر كالخلائق من محل	يهدبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامت	بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا	بأخلاق النساء الوالدات
فيا صدر الفتاة رحيبت صدرا	فأنت مقر أسنى العاطفات
إذا استند الوليد عليك لاحت	تصاوير الحنان مصورات
فأول درس تهذيب السجايا	يكون عليك يا صدر الفتاة ^(٢٣)

ونختم الكلام في هذا الشأن المتعلق بحضن المرأة ، وأثره البالغ في تربية الأجيال بما يعتبره أحد رواد الشعر العراقي الحديث وشيخ شعرائه آنذاك الشيخ محمد الجواد الشبيبي^(٢٤) من أن أول مدرسة في الحياة هي

(٢٣) انظر ديوان الرصافي - ط وزارة الإعلام العراقية شرح وتحقيق الأستاذ مصطفى علي ج-٢ ص ٣٥٠ -.

(٢٤) الشيخ محمد جواد الشبيبي (١٨٦٢ - ١٩٤٤ م) كان يعتبر في مطلع هذا القرن شاعر العراق على الإطلاق ، ولقبوه بأبي الأشبال - نسبة لأولاده الستة الفطاحل - ، وشيخ الصناعتين - لإجادته الشعر والنثر - وشاعر العروبة - كما لقبته مجلة (العرفان) اللبنانية ، أفتتحت صفحات الشعر المعاصر الجديد بشعره النابض بالجزالة والرفقة والعفوية . والمعاني الجديدة ، وكان له وللمجددين من شعراء أبناء جيله الأثر البالغ في خلع رداء التقليد الجاف المتهرئ ، وخلق النهضة الشعرية الخارجية على القيود اللفظية والمحسنات البديعية . والمعاني الجامدة التي طبعت الشعر بطابعها الخاص ، فأعاد الشيخ الشبيبي للشعر العربي جزالته ونصاعته وعفويته ، وابتعد به عن التكلف والصنعة . وهو بالإضافة إلى تلك الشاعرية المبدعة عالم متضلّع في الفقه الإسلامي وذو باع طويل في علوم اللغة العربية فشاع صيته لا في العراق والبلاد العربية فحسب =

(مدرسة البيت) التي تتلوها كل ما في الحياة من المدارس الأخرى ، وأن الأستاذ الأول في تلك المدرسة هو (الأم) التي يقتبس منها أولادها السجايا الكريمة . فيدعو إلى مكافأة الأم على ذلك الحق الكبير عندما تبلغ من الكبر عتياً فيقول :

تتبعها تلك المدارس الأخرى	مدرسة الأم هي الأولى التي
يُقْبَسُ تاريخ السجايا والسير	أستاذها الأم ، ومن سيرتها
لو كُوفِنَتْ عليه في عهد الكبير ^(٢٥)	حقّ لهذه الأم ما أكبره

=بل حتى في الغرب إذ وصفه المستشرق الإنكليزي (اندرسن) في كتابه (رسائل من الشرق) المطبوع (١٩٣٠م) قائلاً :

(لا أكنم القارئ العزيز أنني كنت أتوقع الجفاف من شيخ طاعن في السن يُمثل مكانة دينية سامية في بلد كالعراق ، بل على العكس من ذلك لقيت منه مرونة في الآراء والأفكار إلى حد لا أستطيع أن أصوره للقارئ ... لقد أعاد الشببي إلى مخيلتي ذكرى مجالس العلم والأدب في العصر العباسي الزاهر حيث كان المسلمون والنصارى والصابئة يتحدثون في المسائل العلمية والأدبية العويصة في جو هادئ ولقد خضت مع الشيخ في مواضيع شتى فوجدته الرجل العالم بجدارة) - انتهى المقتبس من كلام المستر اندرسن - نقلناه عن كتاب (الشببي الكبير) الشيخ محمد جواد الشببي حياته وأدبه : تأليف : حمود الحمادي ط مطبعة النعمان النجف ١٩٧٢م) وعكس شعر الشيخ جواد الشببي صوراً صادقة للحياة وتطوراتها ومعالجة قضاياها الوطنية والقومية والسياسية والاجتماعية بلوحات شعرية أجاد في تصويرها ورسم ملامحها كأحسن ما يكون الرسم والتصوير . جمع ديوان شعره السيد محمود الحبوبى وما يزال مخطوطاً .. أنظر ترجمته في (الشببي الكبير) لحمود الحمادي (والأعلام للزركلي) الذي يذكر أن مولده كان عام ١٨٥٥م ، وليس كما أثبتناه عن كتاب (الشببي الكبير) .

(٢٥) انظر (الشببي الكبير) حمود الحمادي ص ٣٨٦ وفيه (مدرسة الدار) بدل (مدرسة الأم)

ونظراً للدور الخطير المطلوب من المرأة أن تؤديه في تربية الأجيال باعتبارها مدرسة الحياة الأولى ، فقد نادى شعراء النهضة الحديثة بالعمل الجدي على تعليم المرأة وتسلحها بالمعارف العامة لتكون عضواً صالحاً ونافعاً في المجتمع ، ولتأهل تأهلاً سليماً لأداء رسالتها المقدسة ، وكنموذج من ذلك نثبت الآن بعض ما قاله الشاعر معروف الرصافي في هذا الشأن في قصيدته (التربية والأمهات) التي استشهدنا قبل قليل ببعض أبياتها ، والتي نستشهد منها هنا بشكواه إلى (أم المؤمنين) من جهل (المؤمنات) في عصره مشيراً إلى ما نصّ عليه الإسلام من أن (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .. فيقول :

أ (أم المؤمنين) إليك نشكو	مصيبتنا بجهل المؤمنات
تخذنا بعدك العادات ديناً	فأشقى المسلمون المسلمات
وقالوا: إن معنى العلم شيء	تضيق به صدور الغانيات
أليس العلم في الإسلام فرضاً	على أبنائه ، وعلى البنات
ألم نر في الحسان الغيد قبلاً	أوانس كاتبات شاعرات
وقد كانت نساء القوم قدماً	يرحن إلى الحروب مع الغزاة
فماذا اليوم ضرّ لو التفتنا	إلى أسلافنا بعض التفات
نرى جهل الفتاة لها عافاً	كأن الجهل حصن للفتاة

وللشاعر جميل صدقي الزهاوي^(٢٦) رباعية في الدعوة إلى جعل الاهتمام بتعليم المرأة كالاهتمام بتعليم الرجل لأنهما - معاً - جديران بذلك فيقول :

(٢٦) جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦م) من طلائع نهضة الأدب العربي في العصر الحديث مولده ووفاته في بغداد ، وبنيته بيت علم ووجاهة في العراق كردي الأصل ، نظم الشعر بالعربية والفارسية في حياته ، تقلّد مناصب مختلفة فكان من أعضاء مجلس المعارف ببغداد ، =

علّموا المرأة ، فالمرأة عنوان الحضارة

إنما المرأة ، والمرء سواء في الجداره^(٢٧)

وللسيد محمود الحبوبى^(٢٨) قصيدة منشورة في ديوانه المطبوع عام ١٩٤٨م بعنوان (يا ربة البيت) يدعو فيها إلى تهذيب المرأة وتسليحها بالعلم والخلق الرصين، ويعلن فيها أن الشعب الذي لا يهتم بتعليم المرأة يُضيّع نصف شعبه - المتمثل بنسائه - سدىً ، مطلعها :

=ثم أستاذًا للفلسفة في (المدرسة الملكية) بالأستانة ، وأستاذًا للآداب العربية في دار الفنون بها، فأستاذًا للمجلة في مدرسة الحقوق ببغداد ، فنانبا في مجلس المبعوثان العثماني ثم نائباً عن بغداد ، ورئيسا للجنة تعريب القوانين في بغداد ، ثم من أعضاء مجلس الأعيان العراقي إلى أن توفي . نشر مقالات كثيرة في كبريات المجلات العربية ، وله عدة كتب مطبوعة ، وترجم رباعيات الخيام شعراً ونثراً عن الفارسية وطبعها في بغداد عام ١٩٢٨ ، كتبت عنه مؤلفات عديدة ، ونشرت دواوينه في حياته ، وآخر ما صدر منها (المجموعة الكاملة) لديوان جميل صدقي الزهاوي ط دار العودة بيروت ١٩٧٢م . وفيها تقديم مسهب عن الشاعر بقلم عبد الرزاق الهلالي .

^(٢٧) ديوان جميل صدقي الزهاوي ط دار العودة بيروت عام ١٩٧٢م - ص ٤٠٧ - .

^(٢٨) محمود الحبوبى (١٩٠٦ - ١٩٦٩م) هو من أسرة علوية عريقة ، طويلة الباع في العلم والأدب والشعر والجهاد الوطني ، ويكفيه فخراً أنه ابن أخ الشاعر العالم المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبى ، فنشأ السيد محمود الحبوبى في بيئة علمية شعرية متوهجة منجدة ، وكان من الأعضاء المؤسسين لجمعية الرابطة الأدبية في النجف عام ١٩٣٢م ، وشغل منصب سكرتيرها العام إلى أن ترك مسقط رأسه (النجف) ليقضي بقية عمره في بغداد في عام ١٩٤٨م وقد طبع ديوانه باسم (ديوان محمود الحبوبى جـ ١) في النجف ١٩٤٨م وطُبعت له (رباعيات الحبوبى) جـ ١ في النجف عام ١٩٥١م و (موشح شاعر الحياة) ط النجف عام ١٩٦٩ ، كما طبع ما قيل في نابينه في كتاب أصدرته (ندوة الحاج حسين الشرعياف) باسم (ذكرى السيد محمود الحبوبى) عام ١٩٧٠ .

سلي لداتك حول (النيل) أو (بردى)
هل زدن بالعلم إلا عفة وهدى

إلى أن يقول فيها :

فيا فتاة العراق استقبلي زمناً
قد جدّ من فيه للغايات واجتهدا
لم يغن أنسة حلّي تزان به
إن فاتها العلم في نادٍ قد احتشدا
يا لبوة الرافدين : الشعب منتظر
أن تنجبي لنضال دونه أسدا
فأنت بالعلم أم ذات تربية
فضلى وذات حياة تألف الرغدا
وأنت بالعلم أسمى منك منزلة
بين الأنام وأرسى منك معتقدا
ما الياسمين ذوى عوداً لناظره
كالياسمين عليه انهل قطر ندى
شعب نصيب العذارى جهلهن به
شعب نرى نصفه قد ضاع منه سدى
وكيف يسعد حالاً من تصح له
عين إذا ما تشكّت أختها الرمدا^(٢٩)

ولعل أهم وأروع ما قيل من الشعر حول الدعوة إلى تعليم المرأة
ثلاث قصائد خالدة أحدثت ضجة كبيرة وصدى بالغاً بالمجتمع العراقي عامة،
وبالمجتمع النجفي خاصة ، وذلك في العقد الثالث من القرن العشرين ،

(٢٩) ديوان محمود الحبوبي ج ١ ص ٢٠ .

واثنان من تلك القصائد الثلاث هما لشاعر العرب الأكبر (محمد مهدي الجواهري)^(٣٠) ، وثالثتهما قصيدة الشاعر المجدد المبدع الشيخ صالح الجعفري^(٣١) ، ومن باب الاتفاق العجيب أن الشاعرين اللذين أحدثا تلك

(٣٠) محمد مهدي الجواهري (١٩٠٠ - ١٩٩٧) أشهر من أن يُعرف وذلك لمكانته الشعرية ، ومكانة أسرته العلمية والاجتماعية ، فإنه يتحدر من أسرة عريقة في العلم والأدب اكتسبت شهرتها من باني مجدها العلمي أكبر علماء الفقه الإسلامي الأمامي في عصره الإمام الشيخ محمد حسن صاحب كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) وهو الموسوعة الفقهية التي طار صيتها حتى عُرف به مؤلفه فصار يلقب (الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر) ، عُرف أولاده وأحفاده بـ (آل صاحب الجواهر) ثم (آل الجواهري) . تفتحت مواهب الجواهري منذ صغره ، وتبوأ منذ العشرينات - وهو في عنفوان شبابه - مكاناً مرموقاً بين شيوخ القريض في النجف وفي العراق ، ثم في سائر أقطار البلاد العربية حتى أصبحت شهرته الأدبية على مستوى عالمي كبير . ويعتبر مجموع شعره أكبر وأدق سجل للأحداث السياسية والاجتماعية والوطنية في العراق وأقطار الوطن العربي . طُبِعَ ديوانه أكثر من مرة ، ولعلَّ أضيظها وأكثرها شمولاً لشعره هي طبعة وزارة الإعلام العراقية ، وتقع في سبعة مجلدات صدرت بين (١٩٧٣ - ١٩٨٠) وتضم أغلب شعره لغاية العام الذي انتهى طبعه فيه ، وهو من جمع وتحقيق وإشراف كل من الدكتور مهدي المخزومي والدكتور علي جواد الطاهر والدكتور إبراهيم السامرائي ورشيد بكتاش .

(٣١) صالح الجعفري (١٩٠٨ - ١٩٧٩) هو من أحفاد الشيخ جعفر الكبير صاحب الكتاب الموسوعي الفقه الشهير (كشف الغطاء عن مبهات الشريعة الغراء) الذي صار لقباً لأسرة كبيرة ذات مركز ديني وأدبي واجتماعي عريق ومرموق في النجف . وتفتحت مواهب الجعفري الشعرية في سن مبكرة من حياته ، وتوهجت فيه مع بذرة الشعر جذوة النزوع إلى التجديد فكان في مقدمة الشعراء المنجدين الثائرين من أبناء جيله ، وهو من مؤسسي الرابطة الأدبية في النجف عام ١٩٣٢ م ، وقامت وزارة الإعلام العراقية بطبع ديوان شعره كاملاً باسم (ديوان الجعفري) بتحقيق د. علي جواد الطاهر وثائر حسن جاسم عام ١٩٨٥ م وهو يقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة .

الضجة في المجتمع النجفي المحافظ كانا ينتميان - كلاهما - إلى أسرة دينية عريقة ذات مركز ديني وأدبي واجتماعي خطير .

ومن أجل فهم واستيعاب أهمية تلك القصائد وخطورتها ينبغي لنا شرح ظروفها العامة ورسم إطارها الذي نظمت فيه ، فقد كان الشباب المتجدد المتنور في النجف يطالب الحكومة في تلك الآونة بفتح مدرسة للبنات ، وما كان من الحكومة إلا الاستجابة لذلك الطلب ، وقررت فتح مدرسة للبنات في النجف ، وما أن وصلت مديرة تلك المدرسة للنجف حتى اصطدم الأمر بمعارضة بعض العلماء والمحافظين من أبناء تلك المدينة المقدسة التي تحكمها ظروفها الخاصة بها ، لما يحيط بها من مهابة وجلالة لكونها مركزاً إسلامياً عريقاً تنتظم في مدارس ومساجده أكبر حوزة علمية لدراسة الفقه الإسلامي ، مضافاً إلى ذلك ما تتشرف به المدينة من احتوائها مرقد الإمام علي بن أبي طالب (ع) .

وينبغي أن أسجل هنا ما حدثني به بعض شيوخنا من أن تلك المعارضة العنيفة كانت بسبب الحرص والحفاظ على قدسية المدينة ، وليس بدافع من الوقوف بوجه تعليم الفتيات، بدليل أن المدرسة - بعد تلك الضجة التي أثارت حولها - تم افتتاحها في مدينة (الكوفة) التي لا تبعد عن النجف إلا بضعة كيلومترات ، فلم يلق فتحها هناك أية معارضة أو مقاومة .

والمهم في الأمر أنه تم عقد الاجتماعات الاحتجاجية ضد فتح المدرسة في النجف ، وعُظِّمَت الأسواق والحوانيت ، واحتشد جمع كبير من العلماء والشخصيات النجفية في بيت آل (الجواهري) لأنه من أعرق الأسر الدينية ، وأبرقوا من هناك إلى الملك فيصل الأول محتجين على فتح المدرسة ، وكان شاعرنا الجواهري - آنذاك - موظفاً في دائرة التشريعات في البلاط

الملكي ، وحين علم بالهَرَج والمرَج الذي حصل في النجف ضدَّ فُتُح مدرسة للبنات ، ثارت ثائرتة الشعرية فنظم قصيدة عصماء يطالب فيها بتعليم المرأة، وقد نشرتها جريدة (العراق) البغدادية في السابع من (أب - أغسطس) عام ١٩٢٩م بعنوان : (على المكشوف -حول مدرسة البنات النجفية) . ونحن نقتطف منها قوله :

عَلِّمُوهَا ، فقد كفاكم شُئَارَا وكفاها أن تحسب العلم عارَا
وكفانا من التّفَهَر .. أَنَا لم نعالج حتى الأمور الصغارا
هذه حالنا على حين كادت أمم الغرب تسبق الأقدارا
أنجب الشرق جامداً يحسب المرأة عارَا ، وأنجبت طيارَا
تحكم البرلمان من أمم الدنيا نساءً تُمثِّل الأقطارا
ونساء العراق تُمنَع أن ترسم خطاً ، أو تقرأ الأسفارا
عَلِّمُوهَا وأوسعوها من التهذيب ما يجعل النفوس كبارَا
إنكم باحتقاركم للنساء اليوم أوسعتم الرجال احتقارا
إنَّ خيراً من أن تعيش فتاةً قبضة الجهل أن تموت انتحارا
أيُّ نفع من عيشة بين زوجين بعيدين نزعةً واختبارَا
فعلى قدر ما تزيدون من الضغط عليها ستوجدون انفجارَا
أين عن حرمة الأمومة - داستها وحوش - المصلحون الغيارَا
وازدراء بالدين أن يُحسب الدينُ بجهلٍ وخزية أمارَا^(٣٢)

* * *

(٣٢) انظر ديوان الجواهري جـ ١ ص ٤٦١ .

وبعد نشر هذه القصيدة الجواهريّة اشتدّت الحملة على الجواهري بالبرقيات والاحتجاجات التي كانت ترفع إلى البلاط الملكي من التجمعات التي تعقد في بيت زعيم آل الجواهري في النجف إمعاناً في استنكار قصيدة الجواهري ، ليرغموه على الرجوع إلى صفوفهم ، أو السكوت عن تأييد فتح المدرسة وعدم انتقاد معارضيتها ، ولكن شاعرنا الجواهري لم تقلح تلك الاحتجاجات -التي ساهم فيها ، حتى الزعماء البارزون من أسرته- في إسكاته ، بل صمد أمامها بكل شجاعة وثبات ، ونظم قصيدة ثانية أعنف من سابقتها بعد أقل من ثلاثة أسابيع من نظم قصيدته الأولى ، وجعل عنوان قصيدته الجديدة (ليقرأها الرجعيون) ونشرها في جريدة (الرقيب) البغدادية في ٢٦ من شهر (آب - أغسطس) من عام (١٩٢٩م) ، وحسبنا أن نقطف منها ما يسمح به المجال :

ستبقى طويلاً هذه الأزماتُ
إذا لم تقصّر غمراً الصدماتُ
إذا لم ينلها مصلحون بوسائلُ
جريئون - فيما يدعون -كفاةُ
سيبقى طويلاً يحمل الشعبُ مكرهاً
مساوئ من قد أبقت الفتراتُ
قيوداً من الإرهاق في الشرق أحكمتُ
- لتسخير أهليه - لها حلقاتُ
ألم تر أن الشعبَ جُلّ حقوقه
هي اليوم للأفراد ممتلكاتُ
مشت كل جارات العراق طموحةً
سراعاً ، وقامت دونه العقباتُ

ومن عجب أن الذين تكفلوا
بإنقاذ أهليه هم العشرات
غداً يمنعُ الفتيان أن يتعلموا
كما اليوم ظلماً تمنعُ الفتيات

.....

أقول لقوم يحمدون أناتهم
وما حُمدت في الواجبات أنساءُ
بأسرع من هذى الخطى تدركُ المنى
بطاءً - لعمرى - منكم الخطواتُ
وما أدعي أن التهور صالح
متى صلحُت للنهوض النزواتُ
ولكن أرجي أن تقوم جريئةُ
لصدِّ أكف الهادمين بنساءُ
فإن ينغ أقوام عليّ مقاتلي
وما هي إلا لـوعة و شكاةُ
فقد أيقنت نفسي، وليس بضائري
بأنّي فـي تلك العيون قذاةُ
وما النقذ بالمرضي نفوساً ضعيفةُ
تهدُّ قواها هذه الحملاتُ
وهبني ما صلت عليّ معاشرُ
تباع و تُشرى منهم الصلواتُ
فلو كنت ممن يطمعون بماله
لعادت قداساً تلکم اللعناتُ

دعوها لغيري علكم تحلبونها
ستغنيكم عن مثلي البقرات
وما هي إلا جمرة تنكرونها
ستأتىكم من بعدها جمرات^(٣٣)

* * *

وهذه القصيدة الجواهريّة الرائعة كلها على هذا النسق الجريء النائر المتمرد ، الجزل الأسلوب ، المتدفق بالأفكار والعواطف الملتهبة ، وهي وإن كانت قاسية وعنيفة تتمثل فيها الثورة على الأوضاع الاجتماعية السائدة إلا أنها من الجانب الأدبي لوحة فنية خالدة .

وبعد نشر هذه القصيدة انهالت على البلاط الملكي في بغداد ، وعلى الملك فيصل الأول شخصياً ، الاحتجاجات من مختلف أنحاء العراق من المحافظين والمتشددين ، ومن المنافقين أيضاً الذين لا يخلو منهم عصر ولا مصر ، ويجب أن لا ننسى أن شاعرنا الجواهري في ذلك الوقت كان موظفاً في البلاط الملكي ، فاستدعاه الملك فيصل الأول إلى مكتبه الخاص ، وحين دخل الجواهري على الملك وجد أمامه عريضة فيها توقيعات كثيرة ، فقال الملك للجواهري :

- على ما يحدثنا به الجواهري نفسه كما هو مثبت في كتاب (الجواهري شاعر العربية)^(٣٤):- (هذه العريضة ضدك وضد شعرك، لموقفك العنيف المتشدد في التهجم على المعارضين لفتح مدرسة للبنات في النجف)، فما

(٣٣) انظر ديوان الجواهري ج ١ ص ٤٦٥ .

(٣٤) انظر (الجواهري شاعر العربية) لعبد الكريم الدجيلي ج ١ ط ١ النجف مطبعة الآداب عام

١٩٧٢م من ص ٤٥٩ - إلى ص ٤٦٦ .

كان من الجواهري إلا أن أجاب الملك بكل جرأة وإصرار ورباطة جأش قائلاً له : هذا رأيي ، ولك يا صاحب الجلالة أن تفعل ما تريد .

وفهم الملك طبعاً ما يعنيه الجواهري من استعداده لتقبل الفصل من وظيفته في البلاط الملكي ، تمسكاً بآرائه ، وثباتاً على موقفه ، فما كان من الملك بعد أن سمع جواب الجواهري إلا أن قال له : (سِرْ على طبعك وسجيتك ، ولا تلتفت لمثل هذه الاحتجاجات) . وما ذلك إلا لأن الملك نفسه كان يحمل الأفكار التحريرية نفسها التي عبرَ عنها الجواهري في شعره .

وتكملةً لقصة القصائد الثلاث ننتقل الآن إلى القصيدة الثالثة التي ساهمت في إحداث تلك الضجة في مجتمع النجف المحافظ ، وهي قصيدة الشاعر الشيخ صالح الجعفري التي نشرها في مجلة (العرفان) اللبنانية عام ١٩٣٠م حول مدرسة البنات في النجف بعنوان : (هذبوها) .. وحسبنا أن نقتطف منها مقطعين يقول فيهما :

هذبوها ... فإنها بشرُ	لكمال الحياة تفتقرُ
النواميس بينكم شرعُ	فهي أنثى ، وآخرَ ذكرُ
ألـكي تستحيل حامضةُ	في زوايا البيوت تدخرُ
كيف يعطي ثماره شجرُ	في الحصى والتراب منقبرُ
وأدوها وحققها غمطوا	ربَّ رُحماك .. إنهم كفروا
أهملوها ... وأي مدرسة	أهملوها .. لو أنهم شعروا

* * *

انظروا المرأة التي سلفت	كيف أعلى مقامها الإولُ
فهي تأتي (عكاظ) نابغةُ	وهي في الحرب فارس بطلُ
شاركت زوجها بمكسبه	فهو يمتار وهي تشتغلُ

* * *

قيّدوها بشرّ سلسلة ثم قاتلوا : بعقائها خللُ

ويلكم .. لا ربحتم أبداً كيف تمشي ، ودربها وحل
سنن الكون في تدرجه في ضروب الأطوار ينتقل^(٣٥)

* * *

ولقد كانت هذه العصماء هي القصيدة الثالثة التي أقامت قيامة المحافظين في النجف ، وأثارت حفيظتهم واستياءهم ، ويجب أن نذكر هنا أنّ الشاعر الشيخ صالح الجعفري هو من أسرة (آل كاشف الغطاء) الأسرة العلمية الدينية العريقة التي تنتمي إلى جد الأسرة الأكبر (الشيخ جعفر) مؤلف الكتاب الفقهي الموسوعي الشهير (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) الذي صار لقباً لأسرة دينية كبيرة تدعى (آل كاشف الغطاء) نبغ فيها علماء ومصلحون وأدباء كبار كان لهم شأن في العلم والأدب رفيع . فاجتمعت أسرة آل كاشف الغطاء ، واستدعت شاعرها الخارج على تقاليد الأسرة المحافظة ، ولبى الشاعر دعوة شيوخ أسرته ، وحين واجههم قرأ في ملامح وجوههم أنهم يلوحون له بالبراءة منه ، وإذا به وبكل شجاعة وصلابة ، يخاطب ذلك المحضر الأسري المحتشد بوجوه العائلة الكريمة وكبار علمائها قائلاً لهم : إنني ومن اليوم سوف لا أحمل لقب أسرتنا (آل كاشف الغطاء) ، وإنني سأغير لقبى من الآن فصاعداً ، وبُهِت الحاضرون من جوابه ، وظلوا يتطلعون إلى معرفة اللقب الذي سيحمله (الشيخ صالح) ، وإذا به بعد فترة وجيزة ينشر قصائده في الصحف باسم (صالح الجعفري) ، والجعفري - طبعاً - نسبة إلى جده الأكبر الشيخ جعفر صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذي سبقت الإشارة إليه .

(٣٥) انظر (ديوان الجعفري) ط وزارة الإعلام العراقية ١٩٨٥م في ص ١٩٣ وما بعدها .

ومرّت الأيام وإذا بشاعرنا يشتهر بين الناس بلقبه الجديد الذي صار
علماً له ، وحتى أن الكثيرين من العراقيين ، بل النجفيين أنفسهم لم يعرفوا
أنه من أسرة آل كاشف الغطاء ، وأنه منها في الصميم .

ومن الطريف أن نذكر هنا أن شاعرنا الجعفري هو صاحب (الرباعية)
الشهيرة التي طالما تداولتها ألسن الأدباء في النجف والتي يقول فيها :

وقيد طالما قيّدَتْ فيه	وأهون بالرجال مُقيدينَا
نبذتْ به ورائي لا أبالي	وإن غضبَ الكرامُ الأقربونا
حناناً - يا أماتلنا - حناناً	حناناً .. أيها المتمزمتونا
تبغناكم على خطأ سنينا	وأسفرت الحقيقة ، فاتبعونا ^(٣٦)

* * *

^(٣٦) انظر (ديوان الجعفري) ص - ٣٥١ - ونشرت في جريدة النجف الصادرة في

١٩/١١/١٩٢٦ م .

الفصل الثالث

الشعراء المجددون ومشكلات تزويج المرأة

٥٥

المعارك الأدبية حول المرأة

والآن ينتقل بنا البحث إلى جانب آخر من جوانب المعالجات التي قام بها شعراء العصر الحديث المُجدِّدون فيما يتعلق بتحرير المرأة مما يُحدق بها من مشاكل عديدة فرضتها عليها القيود الاجتماعية فزرحت تحت أعبائها ردحا طويلاً من الزمن ، فهذا الشاعر جميل صدقي الزهاوي يُعبّر بالألم ومرارة عن حبس المرأة وسجنها في البيت ، وعدم السماح لها بالخروج حتى لتأدية أوجب الواجبات فيقول :

هزأوا بالبنات والأمهات	وأهانوا الأزواج والأخوات
سجنوهن في البيوت ، فشلوا	نصف شعب ، يهيم بالحركات
منعوهن أن يرين ضياءاً	فتعودن عيشة الظلمات
دفنوهن قبل موت مريح	في قبور سود من الحُجرات ^(٣٧)

وقبل ذلك عبّر الشاعر الزهاوي في قصيدته (ضلوا وأضلوا) عن بخس المجتمع لحقوق المرأة في شتى مجالات الحياة ، فيقارن بينها وبين المرأة الغربية التي تمتعت بتلك الحقوق كلها ، فيقول :

الناس في الشرق ضلوا	سبيلهم ، وأضلوا
وبالحياة استخفوا	وبالحقوق أخلوا
ظنّ النساء رجّال	صنفاً أذاً يحل
وأنهنّ متاع	لهم من النفس يحلو
وكل ذلك منهم	إذا تأملت جهل
أقول - والجِدّ أبغى	والقول جدّ وهزل
إنّ النساء من القوم	للحفاوة أهل
وإنهنّ غصّون	بفيئها يُستظل
لولا النساء لما بان	للحضارة شكل
على الشعوب بمرقي	نسائها يُستدل
لهنّ في الغرب عزّ	جمّ ، وفي الشرق ذلّ

(٣٧) ديوان الزهاوي - ط دار العودة عام ١٩٧٢ - ص ٣١٩ -

لا تبخسوهن حقاً فليس في البخس عدلُ
فالمراة اليوم للمرء في الحقيقة مثلُ
وإنها عنه في الفهم ... والحجج لا تقل
أترتضي أن هذا العضو... الشريف يُشل^(٣٨)

وإذا كان هذا الشعر (الزهاوي) ليس فيه من الشاعرية ما يدغدغ
العواطف، ويهزّ المشاعر، فلا بد لنا من الاستشهاد به، لأنه يُمثّل بعض
الآراء المتحمسة لنصير كبير من أنصار تحرير المرأة.
وهذا شاعر آخر من الشعراء المُجدّدين هو الشيخ محمد بهجة
الأثري (١٩٠٢ - ١٩٩٦م)^(٣٩) الذي رسم في شعره صوراً من معاناة المرأة

^(٣٨) ديوان الزهاوي - ط دار العودة عام ١٩٧٢ - ص ٣٢١. وانظر خصائص الشعر الحديث
د. نعمات احمد فؤاد ط القاهرة ١٩٨٠ ص ٢٢٩.

^(٣٩) الشيخ محمد بهجة الأثري (١٩٠٢ - ١٩٩٦) عالم متضلّع في اللغة العربية وآدابها وشاعر
مجدد من شعراء النهضة الحديثة في العراق، عضو في المجمع العلمي ببغداد، ومجمع
اللغة العربية في القاهرة وفي مجامع علمية أخرى. بدأ حياته العلمية بتدريس اللغة العربية
ثم صار مفتشاً اختصاصياً لها في وزارة المعارف العراقية، ثم شغل منصب مدير الأوقاف
العام. رأس تحرير عدة صحف عراقية منها: مجلة البدائع ومجلة العالم الإسلامي ومجلة
المجمع العلمي العراقي، ثم عُيّن مديراً عاماً للأوقاف، قام بتأليف عدة كتب منها (أعلام
العراق) و (المجمل في تاريخ الأدب العربي) و (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) و (مأساة
وضاح اليمن) و (تهذيب تاريخ مساجد بغداد) وغيرها كما قام بتحقيق كتب مهمة من كتب
التراث العربي. وله شعر كثير طبع منه الهيئة العامة للكتاب في القاهرة ديواناً باسم (ملاحم
وأزهار) عام ١٩٧٤ م بتقديم الأستاذ عزيز أباظة، وطبع له المجمع العلمي العراقي
الجزء الأول من مجموعته الشعرية الكاملة باسم (ديوان الأثري) عام ١٩٩٠. والجزء
الثاني عام ١٩٩٦.

وذلك منذ اللحظات الأولى من ولادتها ، حيث تعبسُ الوجوه وتكفهرُ
ملاحمها إذا كان ذلك المولود (أنثى) ، فيعلن الشاعر الأثري عن تعجبه من
تمكن تلك العادة الجاهلية في النفوس فيقول

عجبت للمرء ، وكم داعية للعجب
إن بشرؤه بابنة بيت صريع الغضب
مُكشراً بوجه أم مُرضع ، لم تَذنب
الأرض ما يُبذر بها من البذور تخصب^(٤٠)

والفكرة التي يعرضها الشيخ الأثري ، وإن كانت صورتها قديمة ، سبق
أن رَسَمَت ملاحمها تلك الأم العربية البريئة قبل مئات من السنين حين
ولدت أنثى ، فهجرها زوجها (أبو حمزة الضبِّي)^(٤١) غضباً عليها ، وعلى

^(٤٠) انظر (ديوان ملاحم وأزهار) للأثري ط الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة عام
١٩٧٤م ص ٣٨٥ .

^(٤١) جاء في (البيان والتبيين) للجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط القاهرة
١٩٤٨م ج- ١ ص ١٨٦ - ما نصه : (ولبغض البنات هجر أبو حمزة الضبِّي خيمة امرأته ،
وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتاً ، فمرّ يوماً بخبانها وإذا هي تُرقصُ ابنتها
وتقول :

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعه فينا

قال : فغدا الشيخ حتى ولج البيت ، فقبل رأس امرأته وابنتها وقال : ظلمتكما ورب الكعبة -
انتهى -) والقصة مكررة في الجزء الرابع من البيان والتبيين نفسه - ص ٤٧ - بشيء يسير من
الاختلاف .

مولودتها البريئة ، على ما يعلمه من براءتهما ، فما كان من الأم إلا أن أخذت تقوم بترقيص طفلتها البريئة المظلومة ، مُغْنِيَةً لها بقولها :
ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
ونحن كالأرض لزارعينا ننبت ما قد زرعه فينا
أجل إذا كانت فكرة الشيخ (الأثري) قديمة ، فإنه بتعرضه لها يريد التأكيد على أن تلك التقاليد البالية الجائرة التي كانت سائدة قبل مئات السنين ما تزال ضاربة بأطنابها حتى في عصرنا الحديث ، لذلك فهو ينبّه عليها بقصد اجتثاثها من جذورها .

وتلفت الشيخ (الأثري) جوانب أخرى من معاناة النساء العراقيات خصوصاً ما كان سائداً منها في الريف العراقي ، فقد ألمه وحز في نفسه أن يرى تلك النسوة اللواتي غمر حياتهن الشقاء والألم والتعاسة ، وهزته من الأعماق مناظرهن المؤلمة وهن حافيات الأقدام ، يحتظبن الشوك ، ويحملنه على ظهورهن في حمارة القيط وصبرة الشتاء مما أثار شاعريته ، فنظم معبراً عن معاناة تلك المرأة التي قال الأثري بلسان حالها :

(أظّل أرعى وأبيت أطحن)

يطوي حياتي بالشقاء الزمن

(والموت من بعض الحياة أهون)

أكل دهري أرعتي وأطحن ؟

يسلمني ذاك لذا ، ويقرن

أما بدھري لي يوم أيمن

أذوق فيه العيش وهو لين

ويحتويني الليل وهو محسن

إن فؤادي للهموم موطن
كأن صرف الدهر بي مرتهن^(٤٢)

وإذا كان أسلوب الشيخ الأثري الشعري يشابه الزهاوي في عدم تألق وتأنق الصورة الشعرية، فالشيء المهم فيه - مما هو جدير بالناية - هو التعبير عن مشاكل المرأة في شتى جوانب حياتها ، فلم يدع الشعراء المجددون جانباً من جوانب المعاناة التي كانت تعيشها المرأة إلا عالجه ، ومن تلك المعالجات اهتمامهم بما كانوا يرونه متفشياً في المجتمع من تزويج المرأة دون أن يكون لها رأي في ذلك الزواج ، أو تزويج الشابة المتفتحة تفتح أكمام الورود بشيخ هرم ، قد يكون أكبر سناً من أبيها ، وربما حتى من جدّها ، وفي ذلك يقول جميل صدقي الزهاوي

وفتاة كزهرة الريح حسناً ذبلت وهي في ربيع الحياة
ناهذا في شبابها وأدوها ضحوة بين دجلة والفرات
زوجوها من غير ما هي ترضى من غلام غمر أخي سينات^(٤٣)

وحين قام (منتدى التهذيب) في بغداد في العشرينات من هذا القرن بتمثيل رواية أنشد الشاعر معروف الرصافي في ذلك المنتدى قصيدة عنوانها: (حرية الزواج عندنا) ، عالج فيها من مشاكل المرأة : الزواج غير المتكافئ، لا في الأعمار ولا في المؤهلات ، فيبنون بذلك بيوتاً مخربّة من أساسها ، لأنها غير عامرة لا بالتكافؤ ولا بالحب ، وكل بيت لا يعمّر بالحب يعشعش في زواياه الفشل والخراب ، وترتسم على جدران الخيبة والشقاء ، فقال الرصافي في مطلع تلك القصيدة :

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم إذ أكرهوك على الزواج بأشيبا

(٤٢) انظر (ديوان محمد بهجة الأثري) - ملامح وأزهار - ص ٣١١ .

(٤٣) انظر (ديوان الزهاوي) ط دار العودة - ط ١ - عام ١٩٧٢ - ص ٣١٩ - .

إلى أن يقول فيها ، وما أبدع وأروع ما قال :
قلب الفتاة أجل من أن يُشترى
بالمال ، لكن بالمحبة يُجتبى
أتباع أفئدة النساء كأنها
بعض المتاع ، وهن في عهد الصبا
هذا لعمرو الله يأبى مثله
من عاش ذا شرف وكان مهذباً
بيت الزواج إذا بنوه مجذداً
بالمال - لا بالحب - عاد مخرباً
إن الزواج محبة ، فإذا جرى
بسوى المحبة كان شيئاً متعباً
خير النساء أقلها لخطيبها
مهوراً ، وأكثرها إليه تحبباً^(٤٤)

وانتقد شيخ شعراء عصره الشيخ محمد الجواد الشببي (١٨٦٢ - ١٩٤٤م) الزواج غير المتكافئ في السن ، وتعدد الزوجات ، ومعارضته له ، لتعارضه مع العدل الذي هو شرط أساس في السماح به في الشريعة ، ومن طريف ما قاله في هذا الشأن البيتان اللذان انتقد فيهما زواج أحد العلماء الكبار وهو على أبواب الثمانين من عمره من فتاة في ربيع عمرها لم تتجاوز العشرين عاماً بأسلوب شاعري ، مليء بالتهكم الساخر .

أتاك الصاهل الرابع فهنّ الشرع والشارع
ثمانون لعشرين ؟ فأين القدر الجامع^(٤٥) ؟

(٤٤) انظر (ديوان الرصافي) - ج ٢ - ص ٣٤٤ -

(٤٥) انظر (الشببي الكبير) لعمود الحمادي - ص ١٤٣ - .

والقدر الجامع قاعدة علمية يبني عليها الفقهاء كثيراً من آرائهم
الفقهية ، حيث لابد أن يكون هناك قدر جامع يؤدي إلى الجمع في الحكم بين
شيئين ، أو أمرين مختلفين .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أنه ما من مشكلة من مشاكل المرأة
الحياتية والاجتماعية إلا وكان لها أثر بالغ ، وتأثير عميق في شاعرية
الشيخ محمد الجواد الشبيبي حتى أننا لا نكون مبالغين إذا قلنا : إنه عالـج
من تلك المشاكل ما لم يعالجه غيره من الشعراء المُجدِّدين في العصر
الحديث ، ومن بين أهم وأخطر تلك الأمور الاجتماعية هجرة الفلاحين وأهل
الريف من أريافهم الجميلة المتجسد بها سحر الطبيعة ، إلى ضوضاء المدن
وصخبها إلى العاصمة العراقية (بغداد) ، وذلك بسبب جور الإقطاع وتحكم
الإقطاعيين مما أدى إلى أن يهجر الريفيون ذلك الريف الجميل ، المغمور
بالنقاء والصفاء والبراءة والطيبة رامين بأنفسهم في خضم الصخب ،
والتلوث بأجواء المدينة الكبيرة ، المليئة بالمتناقضات والدجل والنفاق حيث
سيطرت المادة على كل جوانب حياتها ، فأفقدتها كثيراً من جوانبها الروحية
التي تبعث الطمأنينة والراحة في النفوس ... مدينة كبيرة صاخبة غمرت
فيها القصور باللهو والترف على حساب الأكواخ البائسة ، وساكنيها من
الفقراء والمعدمين ، وكان شاعرنا الشيخ الشبيبي يرى بأم عينيه الأكواخ
المتناثرة حوالي تلك القصور التي يتكدس فيها الريفيون والريفات بوضع
يمثل أسوأ حالات البؤس والعوز والشقاء ، بجوار قصور يملؤها البطر
ويغمرها النعيم الذي يعيشه أبناء وبنات الترف ، فكان ذلك المنظر المـُوجع
المُفجع مؤثراً في أعماق مشاعره وأحاسيسه التي تفجرت قصيدة رائعة
تنبض بالصدق والعفوية والعواطف الملتهبة ، وتعبر بألم ومرارة عن
الأجواء التعيسة التي تعيش فيها تلك الفتاة البريئة البائسة في أكواخها جوار
تلك القصور العامرة بكل ما جرَّ على المُعدمين من الشقاء والحرمان ،
فيخاطب شاعرنا الكبير تلك الفتاة الريفية التي رمت بها الأقدار إلى تلك

الحياة المزرية ، وهي تجاور أهل الترف والبذخ ، فيقول في تلك القصيدة
العصماء ذات الأسلوب العامر بالجزالة والقوة ، والرفقة والعذوبة ، الحافلة
بالمعاني البديعة والصور الشعرية الجميلة . ونقتطف منها قوله :

تباعدت عن ريحان ريفك والعصف
وأعرضت - يالمياء - عن نفحة العرف
نسيت البوادي حيث أهلك طنّبوا
خيامهم بين (الغريين) و (الطف)
وكنت ولا أمرّ عليك لأمر
سوى العقل حتى صرت في ربة الغف
توسّطت أزهار الربيع جديبة
وكيف يكون الجذب في الكلاّ الوحف^(٤٦)
خيال الكرى ما مرّ منك بمقلة
فرحت من الأشجان مطروفة الطرف^(٤٧)
سهرت ، وغلمان الحقائق نوم
أهمّ حرس الأزهار ؟ أم فتية الكهف ؟
وجاورت هاتيك القصور شواهدقا
بدار بلا بهو ، وبيت بلا سقف
طوى السائح المقتصّ صفحة ذكرها
وأصبح مكسورا لها قلم (الصحفي)

(٤٦) الكلاّ الوحف : الكلاّ الغزير .

(٤٧) الطرف : العين . قال تعالى في كتابه المجيد في وصف خور الجنة (قاصرات الطرف -
الرحمن ٥٦) . يريد بمطروفة الطرف : إنها مشدودة النظر .

ومرّ عليها الشاعر الفحل مطرقا
كان لم يكن في شعره بارع الوصف
ثم يستمع الشاعر الى تلك الفتاة البائسة تبكي بنشيج عال لما هي
فيه من عوز وفاقة وبؤس ، فيخاطبها بأروع ما تكون السخرية الشعرية من
أرباب القصور قائلا :

أ جارة هذا القصر نوحك مزعج
لأنسة فيه أكبّت على العزف
تنسّمت عرّف السورد وهو لأهله
وما لك منه غير شمك بالأنف
أدّرت الرحي في الليل يفتلق صوتهها
وجارتك الحسناء تنقر بالدف
تطوف عليها بالكؤوس نواصعا
كواعب أتراب طبعن على اللطف
يرشّفها ما ساغ في الكأس شربه
وشربك من ضح^(١٨) ، وكأسك من كف
لو اسطاع هذا الصرح شح بظله
على بيتك العاري من الستر والسجف
إلى أين يعلو في قرون حديده
فهل بات في أمن من الهد والنسف
ألا قتل الإنسان ماذا يريد ؟
وقد جاز حدّ المعتدين .. أما يكفي ؟

* * * *

(١٨) الضح : الماء القليل .

ثم يختتم قصيدته الضخمة في معناها ومبناها بالدعوة إلى الثورة
على ذلك الكيان المتهرئ الفاسد ، لإزالة الظلم والطغيان فيقول :
إذا ما قطعنا للأمام فراسخا
نرد مسافات من الخلف للخلف
وقفنا نرى ما لا يصح ارتكابه
وليس لنا أمر ، فنثبت أو ننفي
فمن لك يا هذي البلاد بمصلح
يقول : لأيدي العابثين ألا كفي
ويجعلهم صفا لرأي وراية
فإن خالفوه يضرب الصف بالصف
لو أننا اتفقنا إلفا ومبادئنا
غدا الفرد منا في الملمات عن ألف^(٤٩)

(٤٩) نقلا عن (مجلة الفكر) البغدادية لصاحبها ورئيس تحريرها (محمد جواد الغبان) العدد
الثاني من السنة الأولى الصادر في آب ١٩٥٨م وعنوان القصيدة (ريفية بانسة) .

الفصل الرابع

المعارك الشعرية بين السفور والحجاب

وبعد أن عرضنا ما عالجه الشعراء المُجدِّدون من شؤون المرأة وشجونها التي فرضتها عليها تقاليد صارمة واعتبارات قاسية ، ننتقل الآن إلى بحث قضية السفور التي هي أكثر قضايا المرأة المعاصرة إثارة للجدل العنيف والنقاش الساخن الذي اتقد أواره بين شتى طبقات الشعب، وبصورة خاصة الشعراء منهم الذين انقسموا إلى فريقين متباعدين كل التباعد في وجهات النظر ، فتراهم بين مؤيد للسفور بحماس واندفاع وتطرف ، ومعارض له بقوة وإصرار وعناد ، وهناك فريق ثالث كان معتدلاً وعقلانياً في تأييده ومعارضته . ولقد شارك في ذلك التأييد أو تلك المعارضة أكثر الشعراء البارزين من المُجدِّدين في العصر الحديث مما أثرى ديوان الشعر العربي المعاصر، ولا بُدَّ لنا هنا من الإعادة - ولو بإيجاز - لغرض التذكير بأنَّ الاحياز إلى السفور لم يكن بدافع من التقدمية والتحرر والتجديد ، وأنَّ الوقوف ضده لم يكن بسبب من الرجعية والتخلف والتحجُّر، وإنما الأمر لا يتعدى وجهة النظر المدعومة بما يؤيدها، ما عدا الذين اندفعوا إلى تأييد السفور لمجرد الأخذ به كشيء جديد يحاربون به القديم بغض النظر عما قد يجرُّه ذلك الجديد من العواقب التي ربما تكون غير محمودة .

وموضوع السفور في الحقيقة هو أول المواضيع التي أثارت الجدل والنقاش العنيفين فيما يتعلق بالدعوة إلى تحرير المرأة ، فكان الأولى بموضوع السفور من هذه الناحية أن يكون موقعه في صدر هذا البحث ، ولكننا انتهينا به إلى هذا الموضوع بسبب كثرة ما أثير حوله من النقاش الحاد ، والآراء المتناقضة المثيرة ، بينما قضايا المرأة الأخرى التي استعرضناها كانت موضع اتفاق لدى جميع الشعراء الذين خاضوا غمارها ، بينما نجد موضوع السفور محل اختلاف شديد ، فرأينا حرصاً منا على أمانة البحث وأصالته ومصادقته أن لا نتحيز لأي من الفريقين المتعارضين، بل نكتفي

بعرض آرائهم ووجهات نظرهم من خلال كتاباتهم وأشعارهم حفظاً للأمانة التاريخية والأدبية .

ولا بد لنا أيضاً من الإشارة إلى ما أثاره موضوع السفور من النقاش والضجيج دون غيره من قضايا المرأة الأخرى التي سبق الحديث عنها ، لأن تلك القضايا واضحة المعالم ، معروفة الحدود ، محدّدة الأهداف ، فالاهتمام مثلاً بتعليم المرأة وإعطائها حقوقها الاجتماعية الأخرى - التي سبق أن عرضنا نماذج منها - أمر واضح ومحدّد لا يمكن أن تنتهي به الأيام إلى الانفلات وعدم الانضباط ، والخروج به عن الحدود المناسبة ، مثل موضوع السفور الذي انتهى أمر الدعوة له إلى كثير من الانفلات وعدم الانضباط الذي سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في ثانياً هذا البحث .

ويحسن بنا التذكير بما ذكرناه في أول البحث من أنّ الدعوة إلى تحرير المرأة وإلى سفورها بصورة خاصة انبثقت في الأصل من مصر على لسان نصير المرأة الأول (قاسم أمين) ، وسرعان ما وصل صوت تلك الدعوة المدوّي إلى العراق ، فاهتمت به الصحف ، وصدرت حوله الكتب ، واثّرت فيه قرائح كثير من الشعراء ، حتى أنه لو تصدّى أحد لجمع تلك الأشعار لتكوّن منها ديوان شعر كبير .. وكان للدعوة إلى السفور أصداء عنيفة وعميقة بين المؤيدين له ، والمعارضين ، ولعل الشاعر جميل صدقي الزهاوي كان في الطليعة من المندفعين إلى تأييد السفور ، فنشر في بدايات تلك الضجة مقالاً بعنوان: (المرأة والدفاع عنها) في جريدة (المؤيد) المصرية^(٥٠) يدعو فيه إلى تحرير المرأة وتأييد سفورها دون قيد أو شرط ،

(٥٠) جريدة (المؤيد) المصرية الأسبوعية في عددها المرقم - ٦١٣٨ - الصادر في ٧/٨/١٩١٠م نقلاً عن (الشعر العراقي الحديث وأهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر د. يوسف عز الدين - ص ٢١٧ -) وانظر أيضاً (الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور د. جلال الخياط ط بيروت - دار صادر - ١٩٧٠ -

فقامت ضجة عنيفة في بغداد حول ذلك المقال حتى أن والي بغداد العثماني فصل الزهاوي إثر مقالته تلك من وظيفته في مدرسة الحقوق ، نتيجة لمطالبة الجمهور بذلك ، فلزم الزهاوي داره خوفاً من بطش الناس به^(٥١) .

وعلى ذكر الصحافة والصحف إبان ذلك الوقت فإنها - كما أشرنا - انقسمت إلى قسمين : بين مؤيد أو معارض للسفور ، ولكن يجب القول إن أكثر الصحف التي صدرت في بغداد في أوائل العشرينات كانت تؤيد الدعوة إلى الحجاب ، وتحمل علم الثورة على السفور، ونشير من بين تلك الصحف والمجلات إلى: (تنوير الأفكار) و (الرشاد) و (المفيد) و (البدائع) أما الجرائد التي كانت توازر حركة السفور فهي جريدة (العراق) و (العالم العربي) و (ليلي) و (الصحيفة)^(٥٢) . وينبغي لنا الوقوف عند هذه الأخيرة وهي (الصحيفة) لنذكر أنها كانت متخصصة بالدفاع عن حرية المرأة وحول سفورها بصورة خاصة^(٥٣) .

(٥١) الشعر العراقي الحديث أهدافه وخصائصه د. يوسف عز الدين ، وانظر كذلك (الشبيبي الكبير - حياته وأدبه لعمود الحمادي ط النجف) ١٩٧٢ - ص ٦٦ - و ص ٩٠ - .

(٥٢) الشعر العراقي الحديث د. يوسف عز الدين - ص ٢٢٢ - .

(٥٣) أصدر مجلة (الصحيفة) المرحوم الأستاذ مصطفى علي (١٩٠٠ - ١٩٨٠) بالاشتراك مع صديقه (حسين الرحال) فصدر عددها الأول في ١٩٢٤/١٢/٢٨ وصدر عددها السادس والأخير في ١٩٢٥/٣/٢٠ . وذكر مصطفى علي في يومياته عن سبب إصدارها : انه (.. في خريف ١٩٢٤م قامت ضجة في الصحف حول الحجاب والسفور ، وخضنا معركتها ونازلنا الحجابيين فيها بكل جرأة ، وكتب في الجريدة جماعة من أدباء الطليعة ..) انظر تفصيل ذلك في كتاب (مصطفى علي - حياته وأدبه -) للأستاذ عبد الحميد الرشودي ، ط وزارة الإعلام - بغداد - ١٩٨٩ .

ونعود بالحديث الى الزهاوي الذي كان من جملة طباعه الشخصية حب إثارة الزوابع والضجّات حول نفسه ، وشعره ، وآرائه ، فما إن هدأت زوبعة ذلك المقال حتى بدأ ينشر قصائده التي راح ينظمها في تأييد السفور تأييداً يكاد يكون متطرفاً وعنيفاً ، ولعلّ الزهاوي هو أكثر شعراء جيله تأييداً للسفور حتى أنه نظم قصائد كثيرة في الموضوع، وسنعرض عليكم الآن نماذج من هاتيك القصائد الكثيرة ، المندفعة اندفاعاً عنيفاً في تأييد السفور بأسلوب خطابي مثير، وربما نجد في أكثر أبياتها مبالغات ظاهرة واندفاعات بارزة ، فهو يقول في قصيدته (الحجاب والسفور):

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا
إنه قد قضى عليك بتعس كلما قلت غاب عني ... آبا
ليس بالناهض المهذب شعب هو لم يجعل احترامك داباً^(٥٤)
ويقول في قصيدته التي عنوانها : (أسفري)

أسفري فالحجاب يا ابنة فهر هو داء في الاجتماع وخيم
كل شيء إلى التجدد ماض فلماذا يقر هذا القديم
إن عقلاً يرضى الحجاب بعصر يتمطى لضيق محموم
لا يقى عفة الفتاة حجاب بل يقبها تثقيفها والعلوم^(٥٥)
ويقول في قصيدته (ما في السفور معرة) ولعلّ هذه القصيدة أكثر قصائد الزهاوي في موضوع السفور شاعريةً وتصويراً .

^(٥٤) ديوان (اللباب) للزهاوي مطبعة الفرات - بغداد - ١٩٢٨ - ص ٣٣٤ .

^(٥٥) المصدر نفسه - ص ٢٣٥ - وانظر (خصائص الشعر الحديث) دكتورة نعمات أحمد فؤاد ط القاهرة ١٩٨٠م - ص ٢٣٧ .

الويلُ للأنثى الضعيفه	من قسوة الذكر العنيفه
إنني لأخشى أن يلاقني	الروض في يوم خريفه
كل امرئ هو آكل	في هذه الدنيا رغيه
ما أطيب الرزق الذي	تُعطيهِ أعمال شريفه
إنَّ الزهور على السفور	نقيَّةٌ منها الصخيفه
ما في السفور معرَّة	تُخشى على امرأة عفيفه
ليست مشايعة الطبيعة	في عفاف بالمُخيفه
إنَّ النظيفة في قرارة نفسها ، تبقى نظيفه ^(٥٦)	

ومن رباعيات الزهاوي هذه الرباعية التي يتطرف ، فيرى فيها أن الحجاب هو الذي أدَّى إلى تأخر النساء المسلمات متجاهلاً الأسباب الحقيقية الكثيرة الأخرى التي كانت وراء ذلك التأخر فيقول :

ليس ترقى الأبناء في أمة ما لم تكن قد ترقَّت الأمهاتُ
أخَّرَ المسلمين عن أمم الأرض حجاب تشقى به المسلمات^(٥٧)
ويقول في قصيدته المطوَّلة (ثورة في الجحيم) :

قيل : هل في السفور : نفعٌ يُرجى
قيل : خيرٌ من الحجاب السفورُ
إنما في الحجاب شلٌ لشعب
وخفاءٌ ، وفي السفور ظهورُ

^(٥٦) انظر (ديوان الزهاوي) ط دار العودة بيروت - ص ٧١٣ - .

^(٥٧) المصدر نفسه - ص ٤١٧ - .

كيف يسمو إلى الحضارة شعب
منه نصف عن نصفه مستور
ليس يأتي شعب جلائل ما لم
تتقدم أناته والذكور^(٥٨)

ولعل آخر القصائد التي نظمها شاعرنا الزهاوي في هذا الموضوع هي قصيدته (تباشير الانقلاب) التي أنشدها في الحفلة التي أقيمت للمؤتمر النسائي في نادي (لورده خضوري)^(٥٩) في (٢٥) تشرين الأول من عام (١٩٣٢ م) يقول فيها :

من بعدما انتظرت حقابا ثارت فمزقت الحجابا

(٥٨) المصدر نفسه - ص ٧٢٠ .

(٥٩) [نادي لورده خضوري] هو (ناد يهودي أقامته الطائفة الإسرائيلية بمعاونة المثرية اليهودية (لورده خضوري) وكان محله في (السكك) قرب الباب الشرقي : وأعضاؤه من اليهود ، من كبار التجار والموظفين والمحامين ، ومنهم المحامي يوسف الكبير ، ومدير الحسابات العام إبراهيم الكبير ، وشوحيط من كبار موظفي السكك الحديد ، وسليم ترزي مسؤول البرق والبريد ، وخضوري مدير الميزانية ، والشاعر أنور شاوول ، والأديب الكاتب مير بصري .. وعدد من الأثرياء والتجار . وكان في النادي ساحتان للعب التنس ، والاختلاط فيه موجود ، ويصعب قبول الغزاب إلا بعد التأكد من سلوكهم .

وقد أغلق هذا النادي بعد اشتداد أزمة فلسطين والصهيونية ، وقيام الصحف المحلية بمهاجمة النادي باعتباره مركزا صهيونيا وليس ناديا اجتماعيا .. نقلا عن (بغداد في العشرينات) لمؤلفه عباس بغدادي ط بيروت ١٩٩٨م ص ٢٠٧-٢٠٨ .

كان الحجاب يسومُها خسفاً ، ويرهقها عذابا
 سألت لها حرية منهم ، فما لقيت جوابا
 حتى إذا ما استيأست خرقت بأيديها النقابا
 فرأت أمام سفورها للمجد أفنية رحابا
 إن الحياة لتبتغي في عصرنا هذا انقلابا
 ظهرت تباشير له تبني المني منها قبابا
 عزوا الحجاب إلى الكتاب ، فليتهم قرأوا الكتاب
 ما كان خدرك غير سجن مظلم يُولى اكتتابا^(٦٠)

تلك أهم النماذج من شعر الأستاذ جميل صدقي الزهاوي حول
 السفور، ونعتقد أنها تكفينا للحكم من خلالها على مدى تحمس الزهاوي
 واندفاعه في تأييد السفور بالإضافة إلى الحكم من خلالها أيضاً على مستواها
 الشعري والفني ، وإن كان هذا الحكم الأخير ليس من مهمات هذا البحث .
 وقبل أن نودّع الزهاوي وشعره في تأييد السفور نرى من الطريف
 أن نشير إلى أن حرم الأستاذ الزهاوي كانت ملتزمة التزاماً تاماً بالحجاب
 يكاد يكون متطرفاً ، بقناعة ذاتية منها ، وبرغبة شديدة من الزهاوي نفسه ،
 فكانت ترتدي اللباس المحتشم ، ولم يظهر منها إلا بعض وجهها، ولم يسمح
 لها الزهاوي بترك تلك الحشمة وذلك الحجاب حتى وفاته ، وبقيت هي نفسها
 على ذلك حتى انتقالها إلى رحمة الله^(٦١) .

^(٦٠) ديوان الزهاوي ص ٦٠١ .

^(٦١) ومن الطريف أيضاً أن نشير إلى ما نشره الأستاذ سلامة موسى في مجلته : (المجلة
 الجديدة) في العدد الرابع من سنتها الخامسة الصادر عام ١٩٣٦م ونحن نقله عن كتاب
 (الزهاوي - دراسات ونصوص -) للأستاذ عبد الحميد الرشودي الصادر عن دار مكتبة=

ونقف الآن عند شاعر آخر كبير وقف إلى جانب الدعوة إلى السفور هو (معروف الرصافي) ، وأول قصيدة له في هذا الشأن كان لها صدى بالغ في نفوس معارضي السفور مما تسبب بردهم العنيف عليه ، وكان عنوان قصيدة الرصافي تلك هو (المرأة في الشرق) ، ومن دوافع نظمها أنه كان قبل مشاركة المرأة العراقية في فن التمثيل ، يتولى أدوار النساء في التمثيلات شبان يتزيون بزيهن ، فنظم الرصافي هذه القصيدة ينتقد فيها ذلك الضرب المتكلف من التمثيل ، وأنشدها في الحفلة التي أقيمت على مسرح (رويال سينما) في بغداد لتمثيل رواية (صلاح الدين الأيوبي) ونشرت في (١٥) آذار من عام (١٩٢٢م) ومطلعها :

ألا ما لأهل الشرق في برحاء

يعيشون في ذلٍّ به وشقاء

إلى أن يقول فيها :

لقد غمطوا حق النساء فشدوا

عليهن في حبسٍ وطول ثواء

وقد ألزموهن الحجاب ، وأنكروا

عليهن إلا خرجةً بغطاء

=الحياة بيروت ١٩٦٦م ، وفيما يلي مقتبس مما جاء في ذلك المقال الذي يقول فيه الأستاذ سلامة موسى : (.. وأذكر أنني زرته في القاهرة - ويعني الزهاوي - أدعوه والسيدة الكريمة زوجته الى الغداء ، فنزلت وحدها إلى ناحية بعيدة حيث وقفت في مكان مهجور من الطريق ، ثم سرنا إليها بالأتومبيل الذي أقلها وهي في النقاب ، وكان كل هذا العناء والتكلف لكي لاتنزل سافرة من المنزل الذي تقيم فيه ...)

وانظر حول ذلك (الشعر العراقي الحديث - مرحلة وتطور) د.جلال خياط .

أضاقوا عليهن الفضاء كأنهم
يغارون من نور به وهواء
ويقول فيها :

أهانوا بهنّ الأمهات فأصبحوا
بما فعلوا من ألام اللؤماء
ولو أنهم أبقوا لهنّ كرامة
لكانوا - بما أبقوا - من الكرماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم
تحمل جور الساسة الغرباء
أيسعد محياكم بغير نساكنكم
وهل سعدت أرض بغير سماء
وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح
تمثل حالي عزة و إباء
ولكنّ عاراً أن تزيّا رجالكم
على مسرح التمثيل زيّ نساء^(٦٢)

ولقد ردّ على هذه القصيدة شاعر بغدادي كبير هو الحاج عبد
الحسين الأزري ، وستأتي الإشارة إلى قصيدته تلك عند الحديث على
معارضتي السفور .

وللرصافي قصيدة أخرى عنوانها (نساؤنا) نظمها في عام
(١٩٢٢م) نفسه حين نزل في (لبنان) وهو في طريقه إلى (الأستانة)
فدعاه السيد (فندي صعب) - وهو أحد رجالات لبنان - إلى الغداء في داره

(٦٢) ديوان الرصافي - ج ٢ ص ٣٣٢ - .

بالشويات ، فاجتمع هناك بكريمة الأستاذ فندي صاحب الدعوة التي كانت تصدر مجلة (الخدر) وهي مجلة علمية أدبية ، وبعد سفره إلى الأستانة كتب هذه القصيدة وأرسلها إليه ، ونشرتها ابنته في مجلتها (الخدر) ، ومطلعها :

ألا خلياني في الكلام من السجع
ولا تجريا في القول إلا على الطبع
إلى أن يقول فيها مما يخص الدعوة إلى السفر :
و إني لأشكو عادة في بلادنا
رمى الدهر منها هضبة المجد بالصدع
وذلك أنا لا تزال نساؤنا
تعيش بجهل وانفصال عن الجمع
وأكبر ما أشكو من القوم أنهم
يعدّون تشديد الحجاب من الشرع
أ في الشرع إعدام الحمامة ريشها
و إسكاتّها فوق الغصون عن السجع
وقد أطلق الخلق منها جناحها
وعلمها كيف الوقوع على الزرع
إلى أن يقول فيها :

فيا ربّة الخدر اسمعي ما أقوله
لعلّ مقالتي فيه شيء من النفع
يقولون لي : إن النساء نواقص
و يدلون فيما هم يقولون بالسمع
فأنكرت ما قالوه والعقل شاهدي
وما أنا في إنكار ذلك بالبدع

و والله ما إن ضقت ذرعا بقولهم
ولكنما قد ضاق ممن فعلهم ذرعي
ألا فاصدعي يا ربة (الخدِر) بالذي
ترين من الآراء في الرد والردع^(٦٣)

ولقد نظم الشعراء حول هذه القصيدة ردودا كثيرة لعل أعنفها هو رد
الأستاذ محمد بهجة الأثري - وهو صديق للرصافي - ومما كان قاله في رده
: إن الرصافي طالبُ خلاعة ، ورماء بسبب ذلك بالكفر والضلال والمروق ..
ومن الطريف في الأمر أن الرصافي قام بنشر رد الأثري عليه في جريدته
(الأمل) ثم بعد نشر ذلك الرد كتب الرصافي ردًا على الأثري في الجريدة
نفسها ، وكان الرد متسمًا باللطف والهدوء ، وبعيدًا كل البعد عن السباب
والتهجم^(٦٤).

وللرصافي أيضًا قصيدة عنوانها (حرية الزواج عندنا) ولقد
استشهدنا ببعض الأبيات منها في مكانه من هذا البحث .. ونستشهد الآن
ببعض أبياتها الأخرى المتعلقة بالدعوة إلى السفور حيث يقول :
و لقومنا في الشرق حال ، كلما
زدت افتكاراً فيه زدت تعجباً
تركوا النساء بحالة يرثى لها
وقضوا عليها بالحجاب تعصباً
شرف المليحة أن تكون أديبة
وحجابها في الناس أن تتهذباً

(٦٣) ديوان الرصافي - ج ٢ - ص ٣٣٨ -

(٦٤) الشعر العراقي الحديث د. يوسف عز الدين ص ٢١٦

والوجه إن كان الحياء نقابه
أغنى فتاة الحي أن تتقبها
هل يعلم الشرقي أن حياته
تعلو إذا ربى البنات وهذباً^(١٥)

وننهي الحديث عن شعر الرصافي في موضوع السفور بالبيت الذي
يقول فيه بقصيدته (التربية والأمهات) التي مرّ الاستشهاد ببعض أبياتها.
وما ضرّ العفيفة كشف وجهه بدا بين الأعفاء الأباة^(١٦)
ونلاحظ قبل أن نطوي صفحات شعر الرصافي أنه كان أقلّ عنفاً
وأخفّ قسوة من زميله الزهاوي في تأييده للسفور ، ثم أن أسلوبه في
قصائده ربما يكون أرقّ وأعذب شاعرية.

ونقف الآن عند شاعر آخر من شعراء العراق المُجدِّدين المتحمسين
لتأييد السفور هو الأستاذ صالح الجعفري الذي كان يعيش ظروفاً خاصة به
يصعب عليه بسببها الإفصاح عن رأيه في تأييده لسفور المرأة ، باعتباره
من أهل مدينة النجف ... المدينة المقدسة التي تمثّل مركزاً إسلامياً كبيراً ،
وهي مقرّ للحوزة الدينية منذ حوالي ألف عام ، و شاعرنا الجعفري ينتمي
إلى أسرة من أعرق الأسر الدينية العلمية في النجف كما أشرنا إلى ذلك في
ثنايا هذا البحث .

ونظراً لتلك الظروف التي تحيط بالأستاذ الجعفري فقد أسفرت
عبقريته الذهنية عن ابتكار أسلوب شعري جديد وطريف ، فنظم قصيدة
طويلة رائعة تتضمن حواراً بين (الطيور) و (الزهور) ، حول الحجاب
والسفور معتمداً فيه على عرض الأمر بأسلوب (الدعوى) و (الأدلة)

^(١٥) ديوان الرصافي جـ ٢ - ص ٣٤٧ .

^(١٦) ديوان الرصافي جـ ٢ - ص ٣٥٧ .

و(الدفاع) بين الأطيّار والأزهار في عرض شاعري بديع ، يمتاز بالطرافة
والجدّة والروعة . وقد ألقى قصيدته الرائعة تلك في بعض أندية النجف ،
ونشرها في مجلة (العرفان) اللبنانية عام (١٩٢٩م) ، وفيما يلي مقاطع
من تلك القصيدة ذات الأسلوب والحوار المبتكر، وعنوانها : (على الهامش)

(أصل الدعوى)

عقد الزهر اجتماعاً وزارياً	مُستقلاً به ، بلا مستشار
قام فيه الهزار ملكاً فأوحى	لزهور الربى بخلع العذار ^(٦٧)
أمر الزهر بالسفور ، فلحظ	نرجسيّ ، ومبسم جئناري
فتباشرن بالخلاعة .. إلّا	وردة .. ردّت القرار الإداري
وردة خاصمت زهور الروابي	وبديع تخاصم الأزهار
طبعت نفسها على الحق ، والحق عزيز على النفوس الكبار	
(الطير يستدل على السفور)	

واستوى يخطب الزهور ويشدو	برقيق الألحان والأطوار
قال : داء الحجاب داء عضال	حرّمته شرائع الأطيّار
أي فرق بين الخلاق حتى	بان هذا ، وذاك في إضمار
(دفاع الوردة)	

ليس خلع الحجاب إلّا شذوذاً	عن صريح الكتاب والأخبار
عفة ، أو حصانة ، أو حياة	كل هذي منوطة بالخمار
ربما (نزعة) تجرّ لغيّ	وجمود يُنيل دار القرار

(٦٧) خلع العذار : ترك الخجل .

(جواب الطير)

قَهْقَه الطيرُ صادقاً حين أدلت حَجَّةً سَلَمَتْ بلا إنكار
إنَّ كشفَ اليدين والوجه مما جَوَزَتْهُ شريعة (المختار)
أكتفي من سفوركن بهذا وعلى ما سواه ألف ستار^(٦٨)

(هتاف الزهور)

صَفَّقَ الزهرُ هاتفا بحياة الملك يدعو بآية الانتصار
(صدور القرار)

طأطأت ربةً الحجاب حياءً وذوت بعد ذلك الازدهار
ندبت حظها ، وبلت ثراها - بدل الماء - بالدموع الغزار

(الحقيقة)

رب صدر من القلائد عال ومن الفضل والفضائل عاري
و إذا هانت النفوسُ استهانت كل شين وجندت كل عار^(٦٩)

وبعد عام واحد على نظم هذه القصيدة بأسلوب الكناية الذي عبّر
فيه الأستاذ الجعفري عن تأييده للسفور ، أي عام (١٩٣٠م) نظم (الجعفري)
قصيدته الشهيرة (هذبوها) التي سبق أن أشرنا إليها ، ونشرها في مجلة

(٦٨) رد أحد الشعراء في مجلة العرفان في هامش القصيدة نفسها على الشاعر الجعفري في

دعوته على لسان الطير في كشف الوجه واليدين بالبيت التالي :

جاز كشف اليدين والوجه ما لم تخف الغيد ربةً النظار

(٦٩) القصيدة بتمامها مثبتة في ديوان الجعفري ص ١٦٦ - .

العرفان اللبنانية أعرب فيها بأسلوب الصراحة لا الكناية عن رأيه في حجاب المرأة وسفورها فقال :

كيف ترجو نجاحها فئة	كللتها البرود والسُجف
من وراء الحجاب نسوتها	تتهادى كأنها طُرف
كلما أبصرت على كُثب	شبحاً للجديد ترتجف
تتحري استقلال أمتهما	أخسأوا ، إن ذلكم صلف
كم حصان تروح سافرة	بالحيا والعفاف تلتحف
وعلى العكس مؤمسٍ خطرت	وعليها الدثار والقُطف
لا تخالوا الحجاب يمنعها	لو أرادت ، فذلكم سُخف
وطني واصل الجهاد فقد	يتشظى عن دُرّه الصدف
دنت الساعة التي استعرت	بظاها (بغداد) و (النجف) ^(٧٠)

وحين انتهى السفور إلى غير ما نادوا به من السفور المحتشم ، إلى الخلاعة غير المرضية اعتقد الشاعر صالح الجعفري أن ذلك كان ردة فعل على الكبت الشديد الذي عانتها المرأة ، فنظم رباعية يشير فيها إلى هذا المعنى .. وهي :

يقول : ألا ترى الحور الغواني
حسرن على الترائب والنحور
بسروال يضيّق بها - طويل
وفستان - تضيق به - قصير
بذلن ، وكُنْ أَمْسِ مُحَصَّنَات
بأصداف الستائر والخدور

(٧٠) ديوان الجعفري - ص ١٩٥ .

فقلت : أجل . وهذا ردُّ فعل

لذلك السّجن والكبت المريع^(٧١)

وبعد أن انتهينا من الحديث عن مؤيدي السفور من الشعراء العراقيين ، وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن معارضيهِ نرى من الواجب توضيح الحد الذي ينبغي أن يقف عنده السفور الذي كان يدعو إليه السفوريون لكي نضع القارئ الكريم داخل إطار الصورة الحقيقية لتلك الدعوة.

إنَّ السفور الذي طالب به دُعائه، وحتى داعيته الأول (قاسم أمين) ، كان لا يتعدى المطالبة بسفور الوجه والكفين ، لذلك فإنَّ المعارضين للسفور والواقفين ضده توجَّسوا خيفةً من تلك الدعوة خشيةً أن تبلغ حدَّ الانفلات وعدم الانضباط ، لأنها دعوة بدون ضوابط أمينة ، ولقد أخذ تخوُّفهم وقلقهم في الازدياد حين وصلتهم أخبار مصر رافعة لواء الدعوة إلى سفور المرأة وتحريرها .. ووصلهم خبر الانفلات الذي انتهى إليه الأمر هناك حيث أصبحت الأوانس المصريات اللاتي كنَّ قابعات في زوايا المنازل ، رائحات غاديات في الأسواق و الشوارع والساحات العامة يزاحمن الرجال بمناكبهن ، وما كان ذلك لواجب يقمن بتأديته بل لتنسُم عبير الانطلاق والحرية .. ولكن أية حرية ؟ فالحرية التي تُصبح بلا قيود وبلا ضوابط تفقد الغرض الأساس منها ، ولتلك الأسباب انطلق صوت شاعر النيل حافظ إبراهيم من مصر نفسها التي هي صاحبة الدعوة إلى السفور وتحرير المرأة، في قصيدته

^(٧١) ديوان الجعفري ص ٤٢١ -.

الشهيرة التي نظمها عام (١٩١٠م) أي بعد دعوة قاسم أمين بمدة لا تتجاوز
العشر سنين .. ومطلعها :

كم ذا يكابد عاشقٌ ويلاقي
في حبٍّ مصرَ كثيرةِ العشاقِ

والتي يقول فيها :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً
بين الرجال يجُلْنَ في الأسواقِ
يُدرجنَ حيثُ أردنَ ، لا من وازعٍ
يحذرنَ رقبتهُ ، ولا من واقٍ
يفعلنَ أفعال الرجال لواهياً
عن واجبات نواعس الأحداقِ
في دورهنَّ شؤونهنَّ كثيرة
كشؤون رب السيف والمزراق^(٧٢)
كلاً .. ولا أدعوكم أن تُسرفوا
في الحُجبِ والتضييقِ والإرهاقِ
فتوسَّطوا في الحالتين وأنصفوا
فالشرُّ في التقييد والإطلاق^(٧٣)

○○○

(٧٢) المزراق : الرمح .

(٧٣) (ديوان حافظ إبراهيم) - ج ١ ص ٢٨٢ - .

فكان الشعراء العراقيون ، المعارضون للسفور ، يتخوفون من تلك النتائج التي تنبأ إليها الشاعر حافظ إبراهيم ، لذلك فقد بادر الشاعر العراقي المجدد (عبد الحسين الأزرى^(٧٤)) إلى الرد على همزية الشاعر معروف الرصافي وربما كان ذلك الرد بتأثير من أفكار حافظ إبراهيم ، ولكن قصيدة الأزرى على كل حال أنصع ديباجة وأسلوباً ، وأجمل معاني وأفكاراً .. وهي بعنوان : (الحجاب) و مطلعها :

أ منازل الخفريات بالزوراء

لا ز عزعتك عواصف الأهواء

إلى أن يقول فيها :

أ كريمة الزوراء لا يذهب بك ...

...النهج المخالف بيئة الزوراء

أو يخدعك شاعرٌ بخياله

إن الخيال مطيئة الشعراء

حصروا علاجك بالسفور ، وما دروا

أن الذي حصروه أصل الداء

أو لم يروا أن الفتاة بطبعها

(٧٤) الحاج عبد الحسين الأزرى (١٨٨٠-١٩٥٤) شاعر وطني مجدّد تألّق نجمه الشعري في الربع الأول من القرن العشرين ، ذو ديباجة مشرقة ، طرّي الألفاظ ، جزل المعاني ، ذو عاطفة تنبض رقة وعذوبة ، و شاعرية متألفة متوهجة . وحين أقيم في بغداد عام ١٩٢٢ سوق للشعر على غرار سوق (عكاظ) ساهم فيه نخبة من الشعراء المجددين إبان ذلك الوقت ، وكان من بينهم الأزرى الذي يُعتبر شعره إنساني النزعة قومي الأهداف وطني المشاعر . طُبِع ديوانه في بيروت ، وقد حققه وضبط كلماته وترجم لأعلامه وعمل فهارسه كل من مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر بتقديم ضاف من الشيخ علي الشرقي وبت ترجمة وإفية بقلم جعفر الخليلي .

كالماء لم يحفظ بغير إناء
إن الفتاة جمالها بحيائها
حَسَنَ الْمُحْيَا ما اكتسى بحياء
من يكفل الفتيات بعد ظهورها
مما يجيش بخاطر السفهاء
ومن الذي ينهى الفتى بشبابه
عن خدع كل خريفة حسناء
ليس الحجاب بمانع تهذيبها
فالعلم لم يرفع على الأزياء
أو لم يسغ تعليمهن بدون أن
يملأن بالأعطاف عين الرائي ؟
ويجلن ما بين الرجال سوافراً
بترجرج الأرداف والأثداء
فكأنما إصلاحها متعذراً
إلا إذا برزت بدون غطاء
ويقول فيها :

نصَّ الكتابُ على الحجاب ولم يدعْ
للمسلمين تبرُّج العذراء
ماذا يُريبك من أزار مانع
وزر القلوب و ضلالة الآراء
هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى
لو أصدقتك ضمائر الجلساء^(٧٥)

(٧٥) (صدقتك) فعل متعدٍ بدون الهمزة ، ولعل ضرورة الوزن هي التي اضطرت الشاعر أن يجعله مزيداً بالهمزة فقال : (أصدقتك) .

شيّد مدارسهنّ ، وارفع مستوى
أخلاقهنّ لصالح الأبناء
وافحص عن الأخلاق قبل سفورها
ما أشبه الأخلاق بالعنقاء^(٧٦)

ويختتم الشاعر الأزرّي قصيدته الرائعة هذه بقوله :
أ سفينة الوطن العزيز تبصّري
بالقعر لا يغرك سطح الماء
وحديقة الثمر الجنيّ : ترصّدي
عبث اللصوص بليلة ليلاء^(٧٧)

وللشاعر الأزرّي قصيدة أخرى بائية تنبض بالركة وتفويض بالعذوبة
وتتأجج بالمشاعر الملهبة قالها بعد أن صمّمت المرأة على السفور ، فوقف
أمامها لا يرتضي لها أن يتركها وحالها ، بل راح يطالبها إذا كانت مصممة
على ذلك أن تراعي السنن الأصيلة التي تحفظ لها قيمتها كامرأة مؤهّلة
للأمومة التي هي من أشرف الواجبات المقدسة الملقاة على عاتق المرأة ،
ثم هو يطالبها بعد سفورها أن تصون ذلك الجمال الفطري الذي منحها الله
إياه بالحياء الذي يزيد ما فتنةً وجمالاً وتألقاً ، فقال في تلك القصيدة التي
عنوانها (الشهوات) والتي هي من أروع الشعر الحديث في هذا الموضوع
، ونحن نقتطف من زهورها الجميلة هذه الباقية التي ننثرها بين أيديكم :

(٧٦) العنقاء : طائر وهمي خرافي لا وجود له .

(٧٧) القصيدة بكاملها مثبّنة بديوان الحاج عبد الحسين الأزرّي - ص ٣٠ - ٣١ .

صوني جمالك بالحياء إذا تحدت الحجابا
ليقك من نزع الشباب ، كما يقي القشر البابا
هل أنت إلا خمرة تغري بنشوتها الشبابا
يتنادمون . . وليس إلاك الحديث المستطابا
لا تكثري اللفتات خشية أن يلدن بك ارتيابا
و إذا سنلت ، فأجملي بالرد ، واقتضي الجوابا
للمزح حد ، فاحذري أن يفسد الحاسي الشرابا
وتحملي خزر العيون ، كمن تغافل أو تغابى
العين يسخرها الجمال .. فلا ملام ولا عتابا
والقلب تفتنه اللواظ ، فاحذريه إذا تصابى
أظننت شيطان الغريزة عن صدور القوم غابا
كيف الحفاظ .. وأنت زدت بريحك النار التهابا
وطلعت ثائرة على الدنيا ، فأحدثت انقلابا
حتى ظفرت بما حلا لك من مفاتها وطابا
ورأيت أجمل من وشاحك قامة غضت إهابا
فكشفت منها الجانبين وعفت للوسط النقابا
وقسوت في ضغط النهود فكدن يخرقن الثيابا
كالطير ضيقت الخناق عليه فازداد اضطرابا
نهذا يكاد يفر ، لو فتحت له الأزرار بابا
متطلع نحو السماء كأنه يشكو العذابا
لا تعرف الشهوات حدا في جوارك أو نصابا
ظمأى إليك ، ولم تزل من فيك تستسقى الرضابا
أنا في الهوى ذو خبرة رأسي وقلبي منه شابا

هاك فـوادي فـاقرأيه فأنه أمسى كتابا
أخشى عليك ، فإن في وادي الهوى أجما وغابا
ما يصنع الحمل الوديع إذا به لأقـى ذنابا
ويختمها بقوله :

لي مثل كل مواطن رأى ، أ أخطأ أم أصابا^(٧٨)

☆ ☆ ☆

ما أروع هذا الشعر البديع في هذه القصيدة التي تطفح عليها العذوبة
والسلاسة وتعبق بالمعاني الرائعة ، وما أروع ختامها الذي يعبر فيه الشاعر
عن التزامه بحرية الرأي والتعبير من دون أن يعطي الصواب لرأيه وحده
، أو يرمى الخطأ على مخالفه ، إن الذي يخشاه شاعرنا الأزري في هذه
القصيدة ، على الفتيات من السفور ، هو ما كان سيجره السفور عليها من
الاحذار إلى التبرج ، ولقد تحقق ذلك الرأي بالفعل ، فبعد فترة ليست
بالطويلة من سفور الكثير من الفتيات ، وقعت المحاذير وتحققت النبوءات
التي كان معارضو السفور يعتبرونها من باب التشاوم والنظرة المظلمة
للموضوع ، فقد كانت المطالبة بتحرير المرأة وسفورها - حتى في مصر
صاحبة الدعوة ، وحتى من (قاسم أمين) راند تلك الدعوة - لا تتعدى
السفور عن الوجه كما سبق أن أشرنا ، وأعدنا الإشارة إلى ذلك أكثر من
مرة ، وإذا بالسفور في أواسط العشرينات يتعدى الوجه والكفين ليشمل
الذراعين ، بل ربما تجاوزهما ووصل إلى الكتفين ، وينجر من الأسفل ليصعد
من القدمين والساقين ليصل منهما إلى الركبتين ، ولم يعرف أهل الحصافة
وعمق النظر أي فائدة للمرأة من ذلك ، وأي علاقة له بتحررها فكرياً
 واجتماعياً وحضارياً ، وأي احترام وتوقير تكسبه المرأة من وراء ذلك

(٧٨) القصيدة كلها مثبتة في ديوان الحاج عبد الحسين الأزري - ص ٣٧ - .

الانفلات الذي ليس له مبرر، مما دفع شاعر الهوى والشباب الأخطل الصغير (بشارة الخوري) ^(٧٩) أحد كبار الشعراء في النهضة الأدبية الحديثة في لبنان إلى أن يستنكر ذلك الانفلات بقصيدته الشهيرة (بين الوجه والساق) مخاطباً بها المرأة التي انزلت في ذلك التيار الجارف ، فشمرت عن ساقها وأبرزت ركبتها أثناء سيرها في الشوارع وجلسها في المحلات العامة ، ولنستمع إليه الآن وهو يقول في تلك القصيدة البديعة :

لحدّ الركبتين تشمّرنا

بربك أيّ نهر تعبّرنا ؟

مضى الخلخال لمّا الساق أضحت

تطوّقها عيون الناظرينا

لقد سقط الستار فليس بدعاً

إذا الشبان باتوا ساقطينا

(٧٩) الشاعر (الأخطل الصغير) ١٨٨٥-١٩٦٨ هو بشارة بن عبد الله الخوري المعروف بالأخطل الصغير ولصق به هذا اللقب لأنه كان يذيل شعره بتوقيع (الأخطل الصغير) أواسط الحرب العالمية الأولى وهو أشهر شعراء لبنان في العصر الحديث ، ومولده ووفاته في بيروت . أنشأ جريدة (البرق) عام ١٩٠٨ وهي أدبية أسبوعية ثم يومية بعد الحرب العالمية الأولى. سافر إلى بغداد وألقى قصيدة في تأبين الملك فيصل الأول ، وإلى القاهرة للمشاركة في مهرجان أحمد شوقي ، وله ثلاثة دواوين مطبوعة (١) الهوى والشباب ط دار المعارف القاهرة عام ١٩٥٣ و(٢) شعر الأخطل الصغير ط بيروت - دار الكتاب العربي - ط ٢ - ١٩٧٢م و(٣) الديوان الكامل للأخطل الصغير جمع وترتيب وتقديم د.سهم أبو جودة إصدار مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين عام ١٩٩٨ ، مراجعة وإشراف الأستاذ عبد العزيز السريع أمين عام المؤسسة ، وقام بتقديمه الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين رئيس مجلس أمناء المؤسسة .

هوى عرش الجمال من المحيا
 إلى الأقدام فاستهوى العيوننا
 كأن الثوب يبدو في صباح
 يزيد تقالصاً حيناً فحيناً
 خجلنا مدةً فضحكت منا
 سنضحك منك علك تخجلينا
 وأسكتنا الحياء عن التشكي
 فما نفع الحياء الساكتينا
 وليس بعاصم عقل ودين
 وكم سلب الهوى عقلاً ودينا
 فياليت الحجاب هوى فأمسى
 يصون الساق عنا ، لا الجبينا
 فإن الساق أجدر أن يغطى
 وإن الوجه أولى أن يبيننا^(٨٠)

ولا أدري ماذا سيقول (الأخطل الصغير) لو رأى بعد ذلك تقلص
 الملابس وصعودها إلى أماكن مُحَرَّمة بالغة الخطورة مما أسموه (الميني
 جوب) و (الميكروجوب) وغيرهما من الأسماء التي انتهت إليها ذلك النوع
 من التحرر الذي لا تظنه إلا زائفاً ، وبعد فترة وجيزة من وصول السفور إلى
 ذلك الحد المتطرف ، ووصول الأخبار به إلى العراق ، والى شاعرنا (
 الأزري) نفسه ، من السفور إلى الركبتين ، ثم تجاوز ذلك إلى إبراز المرأة

^(٨٠) (مختارات الغبان من ديوان الشعر العربي) لمحمد جواد الغبان يقع في أربعة أجزاء وهو

معد للطبع - انظر ج ١ - .

أغلب مفاتنها ومحاسن جسمها على (البلاجات) في مصر ولبنان وغيرها ،
مما فجر قريحة الشاعر الأزري بقصيدته (الغادة العذراء في أحلامها) التي
نشرها في مجلة (عالم الغد) والتي ختمها بقوله :

أيعودُ يا حواءَ عصرُك بيننا
يوماً على هذي الرُبي وفجاجها
عصرٌ به تتسترين من الحيا
بسواقط الأوراق من أخرجها^(٨١)
لاحت بوادره بمصر فأنها
قد مثَّلتُهُ على رمالِ بلاجها
وإذا الغريزة لم تصادف وازعا
رأت الخلاعة حاجةً من حاجها^(٨٢)

وكان الشاعر الأزري المرفه المشاعر والشاعرية ، يجدُ -
حيثما يجيل طرفه - ما يهز وجدانه ويثير مشاعره ، فحين أقدمت الفتيات
على قصّ شعورهنّ - كما يقصُّ الرجل شعره - حرّ في نفس الشاعر
استئصال تلك الضفائر والغدائر الجميلة التي تزيد الفتيات أنوثَةً وتألّفاً
وسحراً ، وما كان ذلك إلا جرياً وراء (المودة) الجديدة التي تجرح الذوق
الفطري السليم وأهله ، فنظم قصيدة (والله ساتر) .
جاء فيها قوله :

لسم ضيَّعت منك سحر الغدائرُ
وهي لو تعرفين فنّ ساحرٍ

(٨١) (الأخراج) مفرداً : الحرج - بفتح الحاء والراء - المكان الضيق الكثير الشجر .

(٨٢) انظر (ديوان الأزري) ص - ٥٥ - قصيدة (الغادة العذراء في أحلامها) .

يتجلى معنى الألوثة فيها
 لك ، والشعر للغدary شعائر
 لم أقصيت طائراً ذهبي ...
 ...اللون عن وكره بتلك الصفائر ؟
 لم عفت الذي يزيدك سحراً
 وهوى -يأسر القلوب- مخامر
 إنما الغانيات كالندّ طيباً
 ولهنّ الحجاب مثل المـجامر
 ليس عرض الجمال إلا ابتذالاً
 يرسل الطرف فيه نظرة فاتر
 أو لم تنظري النجوم اللواتي
 من خلال السحاب تبدو زواهر
 والجمال الذي كسّته احتشاماً
 خفرت في صونهنّ حرائر
 من يصدّ التيار عنك ؟ وإلا
 فليكنّ ما يريد ، والله سائر^(٨٣)
 وهذا شاعر آخر من الشعراء المجدّدين العراقيين هو الشيخ محمد
 علي اليعقوبي^(٨٤) ينظم موشحة بديعة عنوانها (أشواك الغرب في الشرق)،

^(٨٣) ديوان الحاج عبد الحسين الأزرعي ص ١٠٤ - .

^(٨٤) الشيخ محمد علي اليعقوبي (١٨٩٥-١٩٦٥) أحد أعلام النهضة الأدبية الحديثة في العراق،
 وأحد مؤسسي جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف عام ١٩٣٢ م ، وتولّى رئاستها منذ=

وينشرها في جريدة (النهضة) ببغداد عام (١٩٢٩م) وهي مثبتة في الجزء الأول من ديوانه المطبوع عام (١٩٥٧م) يرى فيها أن الحضارة الغربية التي غزت الشرق فيها الغث وفيها السمين ، وفيها الجيد وفيها الرديء ، وفيها النافع وفيها الضار ، وفيها اللباب وفيها القشور ، لذلك فهو يدعو في موشحته إلى الانفتاح على تلك الحضارة لأخذ ما ينفعنا منها ، ونبذ ما يضرنا ، وسفور المرأة على الشكل الغربي يراه الشاعر من قشور تلك الحضارة لا من لبابها ، فيدعو الشرقيين إلى استعادة ماضيهم العتيق ، وأخذ الجيد النافع من تراثهم الغزير ، وترك السفاسف الغربية ، كما يطالبهم بالحق بالغرب في مجال التقدم العلمي والحضاري ، فيقول في تلك الموشحة :

يا دول الشرق .. متى الاتفاق فحسبكم ما قد جناه الشقاق

....

الستم بالأمس أهل الكيان بالمجد فقتم كل قاص ودان
فكيف عدتم عرضة الامتهان هذا هو العبء الذي لا يطاق

...

يا قوم هلا خطوة للأمام لتنقذوا الشرق من الاقتسام
بالأمس كنا قد سبقنا الأمام واليوم لا نطلب غير اللحاق

...

=تأسيسها حتى وفاته عام ١٩٦٥ . له شعر كثير في المناسبات الدينية والوطنية والقومية والسياسية والاجتماعية طبع الجزء الأول من ديوانه في النجف عام ١٩٥٧م . وهو عالم متضلع ، ومؤرخ ثبت ، وخطيب مفوه ، وله مصنفات عديدة لعل أشهرها كتابه البابليات في أربعة أجزاء يضم تراجم شعراء الحلة وأدبانها وعلمائها منذ تأسيسها حتى منتصف القرن العشرين . وقام بتحقيق دواوين شعرية كثيرة .

سفاسف الغرب غدت سائده فيكم بلا نفع ولا فائده
غرّتكم عاداته الفاسده وعفتم ما رق منها وراق

...

نبذتم الدين وراء الظهور واخترتم على الحجاب السفور
ذي خطط لا يرتضيها غيور جرّت شعوب الشرق للافتراق

....

ليس من الرشد وفعل الصواب أن نفتي الغرب برفع الحجاب
تلك قشور ليس فيها لباب ما هكذا يرقى ذرى المجد راق
ويختمها بقوله :

مهلاً سيرقى الشرق عما قليل عوداً إلى سؤدده المستطيل
هاهو من بعد الرقاد الطويل هب ، ومن نشوته قد أفاق^(٨٥)
وهذا الشاعر محمود الحبوبي الذي استشهدنا بشعره في المطالبة
بتعليم المرأة يرى بألم عينيه انفلات السفور من الحدود المرسومة له ، وذلك
حين زار بغداد وهو قادم إليها من النجف ، فتفجرت قريحته عن قصيدة
عنوانها (فردوس أم جحيم) قال في أولها :

جئت دار السلام أبغي الفرار من أسي لم أجد عليه انتصارا
فإذا بي أضيف للحزن حزناً وكأني أضيف للنار ناراً
إلى أن يقول فيها مُعبّراً عما آل إليه السفور من خلاعة وتهتك :
وأجل في القصور طرفك والمخ أوجه الغيد أسفرت أقمارا
تتبارى خلاعة ، وحسان الغرب بالعلم والغلا تتبارى
هذه تبهر العيون ، وتلكم بالأعاجيب تبهر الأفكار^(٨٦)

(٨٥) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ٤٦- وقد نشرت في جريدة النهضة ببغداد عام ١٩٢٩ م .

(٨٦) ديوان محمود الحبوبي ج ١ ص ٢٥- .

ولعلّ أجزل وأجمل تلك المختارات الشعرية المعارضة للسفور هي
القصائد العامرة التي جاشت بها قريحة شيخ الشعراء في عصره شاعر
العروبة الشيخ محمد الجواد الشيببي فلنستمع إليه وهو يقول في بعض تلك
القصائد :

أعصر النور ما إن جئت إلّا بتمجيد العصور المظلمات
حجبت بنيك عن خلق كريم وأسقطت الحجاب عن البنات
بلا حجر سفرن مطيّبات ربيبات الحجور الطيبات^(٨٧)
ويقول في قصيدته الاجتماعية الزاخرة بالجزالة والروعة والمعاني البديعة
وهي بعنوان : (يا ماطل الوعد ..) :

يا ماطل الوعد ما هذي الأساطيرُ
زادت على السمع هاتيك المعاذيرُ
العدل منك سمعناه، ولم نره
والجور منك أمام العين منظورُ
أفراد قومك عاشوا عيشة رغدا
وما دروا أنها ماتت جماهيرُ
بيوتهم من بيوت الشعب مدخلها
ومن (عمايره) تلك المقاصيرُ
تمشى سواء لو أن الحال أنصفها
لكنما هي مهدوم ومعمورُ
أقول للغرف اللاتي ستأثرها
لها بمسح جبين الشمس تأثيرُ

(٨٧) الشيببي الكبير لعمود الحمادي ص ٣٨٨ -

تواضعي واعرفي قدر البُناة ، فمنْ
صنّاع الشعب رصّتك المقاديرُ
يا حارث الأرض ، والساقى ، وباذرها
قتراً إذا نفع المحروم تقتيرُ
إذا أتاك رجال الحرص ، فالقهمْ
بطلعة برقت منها الأساريرُ
واحفظ بقايا حبوب منهم سقطتْ
فللبقايا ببغداد مناقيرُ
من الغرائب أن الهَرَّ في وطني
ليثٌ يُدلّ ، وأنّ الليث سنورُ
يُرمى البريء نزيه النفس طاهرها
بالموبقات ، وذنّب اللص مغفورُ
لا تستهينوا بضعف في جوارحنا
فكم دم قد أسالته الأظافيرُ

وإذا كان هذا الشعر الجزل ، المثير للمشاعر والأحاسيس ، قد خرج بنا
قليلاً عن صلب موضوع السفور فإنه يعود بنا إليه في قوله :
يا ربة الخدر عن نظارك احتجبي
إنّ الحجاب لمنصوص ومأثورُ
و طَهَّرِي النفس بالأخلاق فاضلةً
فإنّها لك تنزيه وتطهير^(٨٨)

* * *

(٨٨) المصدر نفسه - ص ٣٨٣ .-

ومن قصائده التي تعرض بها للسفور القصيدة التي مطلعها :
تسافل الصدق بأرقى العصور واحتجب الحق بعهد السفور
ومنها :

آفة القبة أين الخبا وربّة الفسطاط أين الخدور ؟
طبعك طبع الريم ، لو أنه دام على عادته في النفور
لا ترفعي البرقع في موكب وجهك فيه يا ابنة العرب نور
ولا تزوري في الدجى جارة ففي غواشي الليل إفك و زور^(٨٩)
* * *

وللشيخ الجواد الشببي قصيدة أخرى عنوانها : (ضاق الخناق) يُعبّر
فيها عن آرائه التي تعتمد على المنطق الأصيل ، والملاحظات الدقيقة ،
وتجارب المفكر الناضج الهادئ فيما يتعلق بالدعوة إلى السفور الخليع الذي
وقعت في حباله كثير من النساء فيقول :

ضاق الخناق فأنجدي أو أغوري
واستصحبني وحش اليباب المقفر
وتقحمي الفجّ المخوف ، فطالما
ينجو المخاطر باقتحام الأخطر
هلاً ادخرت من النصار قلانداً
تُغنيك في نوب الزمان المقفر
بعت الحقيقة بالخيال ، لتربحي
غبناً ، وأرخصت المبيع لتخسري
وتركت ربعك وهو أظهر روضة
للخمر تشرب وقت لعب الميسر

(٨٩) المصدر نفسه - ص ٣٨٣ .-

ورفعت في الوقفات أغشية الحيا
وكسرت بالغمزات عين الجؤذر^(٩٠)
ويمضي في هذه القصيدة وهو يصرخ بألم وممرارة من التدهور
الخلقي الذي انتهت إليه بعض المتخلعات من السافرات فيقول
يا أخت عاشقة الخلاعة ضاعفي
سنر النصيف ببرقع وبمعجر^(٩١)
الغي قال : تهتكّي وتخلعي
والدين قال : تحجّبي وتستري
لو كان قومك راقبتك عيونهم
حجبوك عن ضوء الصباح المسفر
خاصرت مثلك غضة ، ومشيتما
تحت اللواظ مشية المتبختر
وثبتت نبعة بانه رفّع الحيا
عنها ، وقال لها الدلال : تكسري
حجرّ عليك ، ومن لنا أن يرعوي
ويلين جلمذ قلبك المتحجر
وأغار - يا رشاً البوادي - أن ترى
متمدنا كالشادن المتحضر^(٩٢)
* * *

(٩٠) الشبيبي الكبير لعمود الحمادي - ص ٣٨١ - والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، وجمعه جآذر.

(٩١) النصيف : كل ما غطى الرأس من خمار أو عمامة ، وجمعه أنصفه ، واعتجرت المرأة اختمرت بالعجار ، والعجار : ثوب تلفة المرأة على استدارة رأسها .

(٩٢) الشادن : الطبي الذي يترعرع ويستغني عن أمه .

وحيث رأى الشيخ محمد الجواد الشيباني - ورأى معه غيره من
الغوريين على نقاء وطهارة الفتيات البريئات - ما انتهى إليه الأمر من
إسفاف وتهاون بالقيم الأصيلة والاعتبارات النبيلة ، والحدود المعقولة
والمقبولة للسفور الذي انتهى أمره إلى الانفلات ، فجاشت قريحة شاعرنا
الكبير بقصيدة عامرة وطويلة تُعْتَبَر من معلقات الشعر الحديث حيث رسم
فيها صوراً بارعة كل البراعة ، ومؤلمة كل الألم ، أبدعت في التقاطها
عدسته الشعرية ، مما كان يرسم أمام عينيه من المظالم التي يزخر بها
المجتمع ، والمفارقات الاجتماعية التي ترتجف لها ضمائر المخلصين
والطيبين ، ولا نغالي إذا قلنا إنَّ الشاعر جمع في هذه القصيدة ، بالإضافة
إلى الصور الرائعة المؤثرة ، بين الجزالة والمتانة ، والعذوبة والعفوية ،
والقصيدة عنوانها (عبْرُ الزمان) .. ومطلعها :

عبْرُ الزمان استحلبت عبراتي
وآلأت الأيام صدر قناتي
ونظراً لجودة القصيدة وطولها ، فلا يسعنا إلا أن نكتفي باقتطاف بعض
أزاهيرها مثل قوله :

أننى التفتُ رأيتُ خطباً هائلاً
فكأنما الأهوال في لفتاتي
لا دجلة أم السيول بدجلتي
كلا ، ولا هذا الفرات فراتي
لي من جنائي ، وما اقترفت جنائية ،
أشواكه ، والقطفُ عند جناتي

هَبْنَا رَضِينَا أَنْ نَكُونَ رَعِيَّةً
لَكِنْ لَأَيِّ عَوَاهِلٍ ، وَرُعَاةٍ
وَأَضْيَعَةِ الْأَكْفَاءِ بَعْدَ مَنَاصِبِ
حَفِظْتَ مَقَاعِدَهَا لِغَيْرِ كُفَاةٍ
مَنْ كُلِّ كَاسٍ يَسْتَجِدُّ لِنَفْسِهِ
خُلَا ، وَلَكِنْ مِنْ جُلُودِ غُرَاةٍ
الْناهِبِي رَمَقِ الضَّعِيفِ وَقُوَّتِهِ
وَالْقَاتِلِي الْأَوْقَاتِ بِالشَّهَوَاتِ
سَكَرُوا بِخَمَرِ غُرُورِهِمْ ، وَالْعَامِلِ ...
...الْمَجْهُودِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالسَّكْرَاتِ
غَزَاوِ الْمَصَايِفِ ، وَالْهُوَى يَقْتَادُهُمْ
لِمَسَارِحِ الْفَتِيَانِ وَالْفَتِيَاتِ
مَالٌ تَكْفَلَتِ الْجَبَاةُ بِعَسْفِهِمْ
إِحْضَارُهُ لَخَزَائِنِ النَّذَاتِ
سَهَرَتْ عَيُونُ الْعَامِلِينَ لِحَفْظِهِ
فَأَضَاعَهُ الْأَقْوَامُ فِي السَّهَرَاتِ
يَا مَفْقَرِ الْعَمَالِ : إِنْ يَكُ غَيْرُهُمْ
سَبَبًا لِإِثْرَاءِ الْبِلَادِ .. فَهَاتِ
انْظُرْ لِحَالَتِهِمْ تَجِدُ أَحْيَاءَهُمْ
صُورًا مَشِينًا بِأَرْجُلِ الْأَمْوَاتِ
غَرَقَى ، وَأَمْوَاجِ الْهَمُومِ تَقَاذَفَتْ
بِهِمْ لَشَاطِي الظُّلْمِ وَالظُّلُمَاتِ
لَوْ يَدْرِكُ الْوَطْنَ الَّذِي ضَمِيمُوا بِهِ
مَاذَا لَقُوا ، لَانْهَالِ بِالْحَسَرَاتِ
وَطْنَ بِهِ الْعَالِي يُصَانَعُ سَافِلًا
وَالْحَكْمُ فِي الْأَعْلَامِ لِلنَّكَرَاتِ

أرثي لحاضرهم فأحملُ بؤسه
والهمُ أحمّله لجيلٍ آتٍ
* * *

وإذا كانت هذه الشواهد من قصيدة الشيخ الشببي المحجلة قد خرجت بنا عن صميم موضوعنا لحظات قليلة ، فإنها أدخلتنا في صميم الجزالة الشعرية ، والروعة الفنية ، والصور الصادقة للمجتمع الذي كان يزرع تحت أعباء المظالم .

أجل إذا ابتعدنا قليلاً فإننا نبادر للعودة إلى صميم موضوعنا حول السفور الذي تعدى الحدود المرسومة له ، وانتهت به الحال إلى الابتذال بما يחדش الذوق الأدبي العام ، وإذا أردنا أن نحدد تاريخاً لنظم هذه القصيدة لكي نعيش أجواءها النفسية والزمنية ، فإنها نظمت في أواسط الثلاثينات من القرن العشرين ، وبكل اعتزاز أحب أن أسجل هنا بأنني قد اخترت هذه القصيدة إعجاباً بها وأنا فتى يافع في منتصف الأربعينات وكتبتها في مجموعة مختارتي الشعرية التي أسميتها (مختارات الغبان من ديوان الشعر العربي) وتقع في أربعة أجزاء .

وننتقل الآن من أجواء القصيدة الاجتماعية التي استعرضت الأوضاع العامة إلى الجانب المتعلق منها بقضية السفور التي يقول فيها الشاعر بكل توجع وتمزق :

قهـرتهم أم السفـور ، وذللـت
للناشئين مصاعب العادات
أصبحن يقعدن الحـصيف عن الحـجى
ويقفن أغصاناً على الطـرقات

منع السفور كتابنا ونبينا
فاستنطقي الآثار والآيات
تلك الوجوه هي الرياض بها ازدهت
للناظرين شقائق الوججات
كانت تُكتم بالبراقع خيفة
من أن تُمسَّ حصانة الخفرات
واليوم فتَحها الصبا ، فتساقطت
بقواطف الألاحظ والقبلات
صوني جمالك بالبراقع ، إنها
ستُر الحسان ومظهر الحسنات
وإذا يلاحنك الحديث - ولو أب -
فتراجعني عن غنة النبرات
خير الحديث إذا جرى مصبوبة
للسامعين بقالب الإخفات
إياك والجهر الذي حصيائه
يُقذفن حول مسامع الجارات
فالجهر للرجل المُحاجج خصمه
أو للخطيب يقوم في الحفلات
فضل الفتى إخوانه بعفافه
و فضلت أنت عفائف الأخوات
فضعي الصادر على الترائب ، إنه
حق عليك ، فحق نهدك ناتى

قد تُعشَقُ الحسناءُ لم ينظُرْ لها
إلاّ المِثَالُ بصفحةِ المرأةِ
والعشَقُ أظهرُ ما يكونُ لسامعٍ ...
...الأخلاقُ ، لا بتبادلِ النظراتِ
والوجهُ مثلُ الوردِ، إنْ يَكُ غُرْضُهُ
للشَّمِّ أصبحَ ذابِلُ الزَّهَرَاتِ^(٩٣)

* * *

إنَّ وقوفَ الشَّيْخِ الشَّيْبِيِّ بوجهِ السُّفُورِ - كما رسمته لنا هذه
القصيدَةُ الغراءُ - لم يَكُنْ بدوافعٍ من التَّحَجُّرِ والتَّعَصُّبِ والرجعيةِ ، بل كان
بدوافعٍ صميمةٍ من الحرصِ البالغِ على كرامةِ المرأةِ ، وصيانةِ جمالها من
الابتذالِ ، والحفاظِ على فتنتها الأثويةِ من الامتهانِ ، فهو يطالبُ المرأةَ -
وبإلحاحٍ - أنْ تصونَ جمالها وأنوثتها ليظلَّ الطهرُ والبراءةُ والنقاءُ والعفافُ
مرفرفاً على ذلكَ الجمالِ ، مما يضيفي على المرأةِ المزيدَ من الأثوثةِ والتألقِ
والجاذبيةِ .

وهذا شاعرُ آخرٍ من الشعراءِ المُجَدِّدينِ في مطلعِ القرنِ العشرينِ هو
المرحومُ الشاعرُ عبدُ الرحمنِ البَنَاءِ (١٨٨٢-١٩٥٥م)^(٩٤) لم يقفِ من

^(٩٣) (مختارات الغبان من ديوان الشعر العربي) لمحمد جواد الغبان - مُعَدُّ للطبع - .

^(٩٤) هو عبد الرحمن البناء (١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م) ولد في بغداد ونشأ فيها وتعلم القراءة
والكتابة ، وكان يعملُ في البناءِ في صباه وصدر شبابه .

صارع الاستعمار العثماني وانتمى إلى (النادي الوطني) الذي أسسه مزاحم الباججي في
بغداد . وساهم في الثورة العراقية عام ١٩٢٠م بقصائده الكثيرة ، وعمل في الصحافة وأصدر
جريدة (النور) ثم جريدة (بغداد) .

الدعوة إلى تحرير المرأة موقف الجمود أو التحجر، بل كان في طليعة الداعين إلى تعليم المرأة ، له قصيدة عنوانها : (صوني جمالك) يدعو فيها الفتاة العراقية إلى أن تترفع بجمالها عن الابتذال والتهتك ، ويطلبها بالتسلح بالعلم ، وأن تصون جمالها بالعفاف والفضيلة ، وأن تبتعد به عن مظان الفتنة والتهم ، يقول فيها :

صوني جمالك فاليون وقاخ
خرس ، وهنّ لدى الغرام فصاخ
صوني جمالك فالتهتك مدية
ولها بأفئدة الشباب جراح

وتوفي في بغداد (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) . وصدر له ديوانان : الأول باسم (ديوان البناء) عبد الرحمن البناء وطبع بمطبعة الرياض ببغداد (١٣٣١هـ - ١٩١٣م) والديوان الثاني يحمل اسم (ذكرى استقلال العراق) الجزء الثاني من ديوان الشاعر الاستقلالي عبد الرحمن البناء ، وقد طبع في مطبعة الفرات ببغداد عام (١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م) وكتب مقدمة الديوان الشيخ (محمد بهجة الأثري) بعنوان (شاعرية البناء) جاء فيها قوله: (... وطرق مواضيع اجتماعية جديدة حصل بها على منزلة عند أدباء عصره ، بل نال أيام الثورة الاستقلالية التي كان هو أحد أبطالها الذين يوججونها بشعرهم الحماسي لقب (شاعر الاستقلال) ... على أنني لا أحسب شاعراً يتسع له مجال القول وهو ممتنى كصاحبنا بحرفة البناء يقضي سحابة نهاره بين الطين والغبار وضوء الفعلة ...) ويختم الشيخ الأثري ذلك التقديم بقوله : (.. لقد رأيت البناء يوماً واقفاً في محل في الشارع العام يدير الفعلة ، يأمر هذا ، ويصرخ بذاك ويبيده قلم وصحيفة من (الطباقي) صفراء اللون ، فدنوت منه ... وإذا به يدون قصيدة جاش بها صدره وفاضت على لسانه ... حقاً إن هذا لشيء عجاب ...)

لا تطرقني بيد الصبابة والهوى
باباً ، له سر الهوى مفتاح
لم تخلُ نفس المرء من همجية
فالعيش سلبٌ والحياة كفاح
يا من يكمل بالعفاف جمالها
إن العفاف لأهله إصلاح
ويختتمها بقوله :

وتسلحني بالعلم يا ابنة يعرب
إن العلوم إلى الشعوب سلاح^(٩٥)
* * *

وقال في قصيدة أخرى عنوانها : (الفتاة الشرقية والفتاة الغربية) يدعو
فيها الفتاة الشرقية إلى طلب العلم فيقول في مطلعها :
فتاة الشرق ما لك في سباتٍ وقد رُفِعَ السباتُ عن الفتاة
ومنها :

إلى العلم انهضي من دون عذر	فإن العلم مفتاح النجاة
إلى العلم انهضي فالعلم فرض	وليس يقل عن فرض الصلاة
فتاة الغرب قامت باجتهد	تذكرنا بعلم المسلمات
وغنت في مدارسها نشيداً	وأنت بكيت حول الدارسات ^(٩٦)

* * *

وله قصيدة أخرى عنوانها : (شكوى الفتاة الشرقية لا سيما
العراقية) يعبر فيها عن لسان الفتيات العراقيات اللواتي يرزحن تحت وطأة

(٩٥) انظر ديوانه (ذكرى استقلال العراق المطبوع في بغداد عام ١٩٢٧)

(٩٦) نفس المصدر - ص ١٦٣ - .

الجهل ، يتمنى فيها لو يسمح لهنّ آبائهنّ وأولياء أمورهن بالتعلم ، لأنهنّ لسنّ أقلّ كفاءةً من فتيات الغرب اللواتي أشرقت وجوههن بنور العلم ، وهو يرفض في هذه القصيدة الربط بين التعلم والسفور لأن الحجاب لا يمكن في رأيه أن يكون مانعاً للمرأة من طلب العلم .. يقول في مطلعها :

من مجبري من صروف النوب إذ تناسى فرض تهذيبي أبي
ونقتطف منها قوله :

لا تلوموني على فرط الأبي	إن قلبي لم يزل في لهب
حيث عمري قد تقصّى جلّه	تعباً في تعب في تعب
أنا في المشرق لو علمني	فقت بالعلم فحول المغرب
أنا كالدرة لكن وضعت	في يد الفحام لو يدري أبي
أخذ العهد على غاربه	أنا لا أدخل باب المكتب
ما الذي قد ضرّه لو أنني	أقرأ العلم وراء الحجب
أسفاً فالعمر قد ولى سدى	وأبي من جهله غير أبي
ليس للأدب حظّ عنده	آه من ضيعة حظّ الأدب ^(٩٧)

* * *

وله قصيدة أخرى عنوانها : (شكوى الفتاة العراقية) يقف فيها بوجه الموجة العارمة الداعية للسفور ، ويعبر فيها عن لسان الفتاة العراقية التي غلّت يديها التقاليد البالية ، وشوّهت من جمالها بالجهل المطبق الذي أرخى سدوله عليها ، كما عبر فيها عن هواجس الخوف والقلق التي تنتاب المرأة وهي كالحمل الوديع بين قطيع من الذئاب التي تنهيا لافتراسها ، وأخيراً يطالب فيها الداعين إلى السفور أن تتوجه دعوتهم إلى تحرير المرأة من

(٩٧) نفس المصدر - ص ٧٦ - .

جهلها ومن تخلفها الاجتماعي ، وها نحن نقتطف منها الأزهير التالية
لننثرها بين أيدي القراء الكرام :

يا الهي ذهب الصبر ذهابا

بفؤادي ليتني كنت ترابا

ليتني مُتٌ ولم أسمع بمن

قتلوا الأوقات من أجلي عتابا

بين حبي وسفوري اختلفوا

ولهِتَكي ملأوا الصحف سبابا

كلما قد أغلقوا أهل النهي

منه باباً فتحوا للشرب بابا

وبقيد الأسر قد غلوا يدي

وبها قالوا احملني عنا الكتابا

طلبوا رفع نقابي عبثاً

أي وقت سبق الشيبُ الشبابا

شوَّهوا وجهي بجهل مطبق

كيف أن أرفع عن وجهي النقابا

برقعي وسط محيطي شرفي

لم أجد عنه ولو ذقت العذابا

أنا كالدُرَّة لكن وضعت

بيد الفحَّام ظلماً واغتصابا

إنَّ جهلي في الوري يمنعني

كلَّما رمتُ من العز اقترابا

أيها القوم اصلحوا أنفسكم

خاب من رام سفور الوجه خابا

هذَّبُوا أَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ ارْجِعُوا
هذَّبُونِي وَاَرْفَعُوا عَنِّي (الْحِجَابَا)
أَنَا مِثْلُ الشَّاةِ أَمْشِي بَيْنَهُمْ
أَيْنَمَا وُجِّهْتُ شَاهَدْتُ ذَنْبَا
لِذَوِي الْآدَابِ أَهْدِي كَلِمِي
مِثْلُ مَنْ أَهْدَى إِلَى الشَّمْسِ شَهَابَا^(٩٨)
* * *

إذن فموضوع شاعرنا عبد الرحمن البناء ليس موضوع تحجّر
وجمود لأنه تعبير عن وجهة نظر يدعو فيها من جانب إلى تحرير المرأة
وتعليمها وتهذيبها ، ولكنه من جانب آخر يقف من السفور موقفاً حذراً
ومتحفظاً انتهى به إلى معارضته معارضة شديدة .

وحين وصلت إلى العراق قصيدة الشاعر الكبير الأخطل الصغير التي
عنوانها : (بين الوجه والساق) والتي يتهمك ويسخر فيها الشاعر من
ذلك السفور الذي انتهى إلى الانفلات ، وضاعت منه المقاييس ، فكان الشاعر
البناء من المعجبين بتلك القصيدة الرائعة ، ودفعه إعجابه بها إلى تشطيرها
، وكان موفّقاً في ذلك التشطير إلى أبعد حدود التوفيق ، وذلك التشطير مُثبت
بديوانه المطبوع عام (١٩٢٧ م) ، وهانحن نثبت هنا أصل القصيدة مع
تشطيرها للشاعر عبد الرحمن البناء :

(لِحَدِّ الرِّكْبَتَيْنِ تَشْمُرِينَا)

فَمَاذَا تَبْتَغِينَ بَأَنْ يَبِينَا

كَأَنَّكَ تَبْتَغِينَ عُبُورَ نَهْرٍ

^(٩٨) نفس المصدر - ص ١٦٥ - .

(بـربك أي نهر تعبرينا)
 (مضى الخلخال لما الساق راحت)
 لها الأحـذاق خلخالاً ثمينا
 ولا تـرضى بطوق الحجل حتى
 (تطوِّقها عيون الناظرينا)
 (هوى عرش الجمال من المحيّا)
 إلى الساقين فاستقر الجفونا
 وأنزله الهوى بالـرغم منه
 (إلى الأقدام فاستهوى العيونا)
 (كأن الثوب ظلّ في صباح)
 إليه الشمس قد مدّت يميناً
 فلم شتاته حذراً وأمسى
 (يزيد تقلصاً حيناً فحيناً)
 (خجلنا مرةً فضحكت منا)
 ولا عجب إذا ما تضحكينا
 سنضحك يا ابنة العصر المراني
 (مرارا منك علّك تخجلينا)
 (فأسكتنا الحياء عن التشكي)
 ورحنا للتساؤل واجمينا
 فطاب لك التهتُّ مذ سكتنا
 (فما نفع الحياء الساكتينا)

(تظنين الرجال بلا شعور)
 ورحلت برغمهم تتبرجينا
 وحسبك قد شعرت بكشف ساق
 (لأنك ربما لا تشعرينا)
 (وليس بعاصم عقل ودين)
 لقوم بالهوى متمسكينا
 فإن الدين معقول ، ولكن
 (كم اجتاح الهوى عقلاً ودينا)
 (وماذا ينفع التهذيب نفساً)
 تَرَدَّتْ حُلَّةُ المَتَوَحِّشِينَا
 أيا جسم الفتاة ، الروح باتت
 (تحارب فيك إبليس اللعينا)
 (فياليت الحجاب هوى ، فأمسى)
 يرينا عفة المتهذبينا
 وليت الغرف للفتيات أضحى
 (يَغْطِي السَّاقَ عَنَا لَا الْجَبِينَا)
 (فإنَّ السَّاقَ أَجْدَرُ أَنْ تَغْطِي)
 بشرع عوائد المتفرنجينا
 من الآداب أن الساق تخفى
 (وأن الوجه أولى أن يبيننا)
 ومن أجل أن تكون إمامتنا بشعر تلك المعارك الأدبية حول السفور
 والحجاب متممة بالإحاطة والشمولية فلا بد لنا أن نشير إلى قصيدة للأستاذ

حسين الظريفي^(٩٩) منشورة في كتاب (مختارات في الحجاب والسفور) -
ص ١٢٢ - عنوانها (وخلصوا احتجاب الغايات وشأنه) ومطلعها :
تخبّطت من ليل الأسى بدياجر
ويرجون أن يلقوا بتلك الستائر
أما والعلی إنسی لأطرح العلّی
إذا هي كانت في سفور الحرائر
لقد فأجأتنا في الحياة مصائب
فهبوا لها في عزم أسد قساور
وخلصوا احتجاب الغايات وشأنه
فنحن على أبواب خطب مكاسر
فما اليوم يجدي الغايات سفورها
ولكنما فيه لها كل ضائر
سأصفع من لم يزدجر بمقالة
فياويل من لم يزدجر بالزواج
وما ضرّني يوماً تصدي شويعر
وما شاعر الأقوام كالمتشاعر
وعلى ذكر كتاب (مختارات في الحجاب والسفور) الذي صدر في
عنفوان تلك المعارك الأدبية التي كان هذا الكتاب منها في الصميم نرى

(٩٩) الشاعر حسين الظريفي : هو ابن علي ظريف الأعظمي ، ولد في (الأعظمية) عام ١٩٠٩م
وتخرّج في كلية الحقوق عام ١٩٣٣م وعيّن حاكماً عام ١٩٣٥م ، ثم أنصرف إلى مزاولة
المحاماة له مؤلفات عديدة منها : (أناشيد) - ١٩٢٢م - (ظرائف الأعظمي) عام
١٩٢٥م - (حاكم التحقيق) - ١٩٣٦م - (البيّنات العامة - عام ١٩٤٥م) و(في سبيل الوطن)
- مسرحية شعرية ١٩٤٨م .

استكمالاً للحديث عن تلك المعارك ، إعطاء لمحة ولو خاطفة عن الكتاب المذكور وهو يُسجل صفحات مهمة من ذلك الصراع الاجتماعي ، وتلك المعارك الأدبية .

وكتاب (مختارات في الحجاب والسفور) عبارة عن مجموعة مقالات علمية واجتماعية وأدبية لطائفة من كُتّاب وكاتبات القطرين (مصر والعراق)، قام بجمعها وترتيبها (مصطفى عبد الجبار القاضي) ، ولمزيد من الفائدة نذكر أن السيد مصطفى القاضي هو شقيق التاجر المعروف (حافظ القاضي) . ويقع الكتاب في مئة وثمان وستين صفحة ، وقد طبع في مطبعة (دار السلام) في بغداد عام (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) ، والكتاب يضم بعد المقدمة والإهداء خمسة وثلاثين مقالاً ، وإجابةً ، وتعليقاً ، وقصيدةً ، لكتاب وشعراء مديّلة كتاباتهم بأسمائهم الصريحة مثل :- توفيق الفكيكي ، ومصطفى علي،وعوني بكر صدقي، و خليل اسماعيل، ومحمد بهجة الأثري، وحسين الظريفي، وملا عبود الكرخي، ومعروف الرصافي ،وعبد الحسين الأزرى ... هؤلاء من العراق ، ومن كتاب مصر وبلاد الشام الذين ساهموا في تلك المعارك من المذكورين في الكتاب المنفلوطي ، والمغربي ،واسيكندر المعلوف، وعباس محمود العقاد، وبلسم عبد الملك . وفي الكتاب كُتّاب كثيرون ذُيلوا كتاباتهم بتواقيع مستعارة مثل : (منزوي) و (طبيب اجتماعي) و (اجتماعي) و (م . ع . ع) و (فتاة غسان) و (بنت الحجاب) و (م . ق) و (فتى نزار) و (أياس) و (الحارث) و (فائزة . ن) و (محب الإصلاح) .

وقد استطاع أخونا الأستاذ الباحث عبد الحميد الرشودي بتتبعاته الخاصة وبحثه عن الحقيقة أن يتعرف على جماعة من أصحاب تلك التواقيع المستعارة ، فأفادنا بأن (م . ع . ع) هو مصطفى عزت عبد السلام، و (فتى

نزار) هو الشيخ محمد بهجة الأثري ، و (الجارث) هو فهمي المدرس ، و (فتاة غسان) هو سامي شوكت .

وأولئك الكتاب كلهم كانوا بين مؤيد للسفور أو معارض له ، والذي يبدو للباحث جلياً أن مقالات الكتاب كلها سواء المؤيدة أو المعارضة كان يطفح عليها الأسلوب الخطابي المنفعل والمتشنج والمتسرع مما يجب أن يترفع عنه الباحثون من الذين يدرسون الظواهر الاجتماعية والمعارك الأدبية والصراعات الفكرية .

ونختتم هذا الفصل من المساجلات الشعرية حول السفور والحجاب ، بأبيات من قصيدة لشاعر كبير من شعراء النهضة الشعرية في النجف خلال الثلث الأول من القرن العشرين هو الفقيه ، والشاعر المجدد الشيخ عبد الحسين الحلي (١٨٨٤ - ١٩٥٧) يطالب فيها المرأة ان تصون جمالها من الابتذال ، وتحمي الحمل الوديع من عيون (الذئاب) - على حد تعبيره - بالحجاب الذي لا يمكن ان يحول بين المرأة والتعلم يقول فيها :

صوني جمالك عن لحظ العيون فما

من فتنة مثلها ثارت لمفتون

ليس الصيانة تغني البنت إن برزت

بلا حجاب ، وما صينت بتحسين .

ولا تعلمها ما لا غناء لها

عنه بابرازها حسرى بمقرون

ويختتمها بقوله :-

قد أهملوها لترعى والذئاب - معاً -

والذئب ليس على شاة بمأمون .

* * *

الفصل الخامس
مطارحات الشعراء
حول زيارة ام كلثوم الأولى الى العراق

والآن ونحن نكاد نصل ببحثنا إلى نهايته نرى من الطريف والممتع أن نجعل مسك ختامه الإلمام بقضية ذات صلة وثيقة في موضوعنا حيث ترتبط فيه بأكثر من سبب ، وذلك لأن تلك القضية تتعلق تعقلاً مباشراً بموضوع المرأة الذي نحن بصدده أولاً ، ولوقوع أحداث تلك القضية في الحقبة التي بلغت بها الدعوة إلى تحرير المرأة قمة أوجها وغاية مداها ثانياً ، وثالثاً وأخيراً لاستثثار ذلك الموضوع باهتمام أغلب المُجدِّدين من شعراء العراق المعاصرين الذين أثارت الدعوة إلى تحرير المرأة قرائحهم الشعرية ، فتدفقت بالروائع والبدايع التي ازدانت بها هذه الدراسة .

إنَّ تلك القضية التي نراها جديرة بأن نجعل منها مسك الختام لدراستنا هذه ، هي الزيارة الفنية التاريخية التي قامت بها السيدة أم كلثوم إلى (بغداد) عام (١٩٣٢م) خلال عنفوان الدعوة إلى تحرير المرأة التي انجرف في تيارها العنيف أغلب الطبقة المتنورة في العراق من المثقفين والمفكرين والأدباء والشعراء .

لقد كان لزيارة السيدة أم كلثوم للمرة الأولى إلى بغداد عام (١٩٣٢م) استقبال حافل وترحيب بالغ من تلك الطبقات المتنورة التي يأتي في طليعتها نخبة من كبار الشعراء العراقيين الذين قاموا بتكريمها ، والاحتفاء بها ، مُعبرين عن الإعجاب العميق بفنّها الغنائي الأصيل .

ولقد كانت الحفلات الغنائية التي أحيتها كوكب الشرق أم كلثوم على مسارح بغداد ، وصدحت خلالها بأعذب ألحان الغناء ، بصوتها الملائكي الساحر، في آفاق عاصمة الرشيد ، مبعثاً لإلهاب عواطف الجماهير ، وإذكاء لمشاعر كبار الشعراء الذين هزَّهم الإعجاب بفنّها الرفيع وغنائها البديع ، فتفجَّرت قرائحهم تعبيراً عن الافتتان بسحر فنّها عن أروع و أبدع القصائد ،

مما أدى إلى قيام حلبة أدبية يزدانُ بقصائدها ديوان الشعر العربي العراقي الحديث.

واعترازاً بأولئك الشعراء ، وإعجاباً بتلك القصائد الغراء بذلنا كل ما في الوسع من الجهد والطاقة للبحث عن هاتيك الفرائد ، والتنقيب عنها في مظانها حتى أسفر ذلك الجهد الذي بذلناه عن الحصول على قصائد تلك الحلبة التي اشترك فيها كل من الشعراء المبدعين المجددين : جميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي ، ومحمد باقر الشبيبي ، ومحمد بهجة الأثري ، وإبراهيم أدهم الزهاوي ، ممن ألهمتهم إبداعات السيدة أم كلثوم الغنائية أروع القصائد العاطفية ، ونختتم روائع تلك الحلبة الشعرية بالقصيدة المَحْجَلَة التي جاشت بها قريحة الشيخ محمد الجواد الشبيبي حين رأى انبهار أولئك الشعراء بالغناء البديع الذي تؤديه السيدة أم كلثوم ، وانصرفاهم عن شؤون الشعب وشجونه .

والآن ندعو القارئ الكريم الى الاستمتاع بقراءة مقتطفات من تلك القصائد المستوحاة من مواهب أم كلثوم الغنائية . وأول هاتيك القصائد التي نقوم بتقديمها هي قصيدة الشاعر جميل صدقي الزهاوي التي أنشدها على المسرح أمام الجمهور المحتشد ترحيباً بأم كلثوم، وذلك مساء الخامس عشر من تشرين الثاني عام (١٩٣٢م) ، ونقتطف منها قوله من تلك القصيدة التي تتألف من عدة مقاطع يتميز كل مقطع منها بقافية خاصة به :

((أم كلثوم))

((١))

الفن روضٌ أنيقٌ غير مسؤوم
وأنت بلبله يا (أم كلثوم)

لَأَنْتِ أَقْدَرُ مَنْ غَنَى بِقَافِيَةِ
لَحْنًا يُرْجَعُهُ مِنْ بَعْدِ تَرْنِيمِ
إِنِّي أَخَافُ افْتِتَانًا فِيهِ مَفْتَضِحِي
فَإِنَّمَا أَنَا شَيْخٌ غَرِيرٌ مَعْصُومِ
هَلْ أَنْتِ سَامِعَةٌ شِعْرًا أَبْثُ بِهِ
يَا أُمَّ كَلْثُومَ : إِعْجَابِي وَتَكْرِيمِي
لَا تَحْسَبِي أَنَّنِي قَدْ قَلْتُ مَزْدَلْفًا
فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ طَبْعِي وَمِنْ خِيَمِي

((٢))

يَا (أُمَّ كَلْثُومَ) غَنِي ، فَالْهُوَى نَعَمَ
يَلْذُهُ الشَّيْبُ وَالشَّبَابُ كُلُّهُمُ
غَنِي ، وَغَنِي عَلَى الْأَوْتَارِ صَادِحَةً
فَإِنَّمَا بِالْأَغَانِي تَنْهَضُ الْأُمَمُ
مِنْ أَجْلِ صَوْتِ رَخِيمٍ مِنْكَ يَسْمَعُهُ
يَا أُمَّ كَلْثُومَ جَاءَ الْجَمْعُ يَزِدُّهُمْ
غَنِي ، فَلَيْلَتُنَا مِنْ بَعْدِ حَلَاكَتِهَا
فِيهَا بِأَوْجِهَا الْأَنْوَارُ تَبْتَسِمُ
غَنِي لَنَا ، ثُمَّ غَنِي .. إِنَّ لَيْلَتَنَا
فِيهَا الْعَوَاطِفُ بِالْأَلْبَابِ تَصْطَدِمُ
الْحَسَنُ تَسْمَعُهُ كَالْحَسَنِ تُبْصِرُهُ
مَا عَنْهُمَا مَنْ غَنَى يَأْتِي بِهِ السَّأَمُ

((٣))

لا يبلغ المرء من لذاته وطراً
حتى يمتع منه السمع والبصراً
افرح بدنياك واشبع من مشاهدتها
فبعدها لا ترى شمساً ولا قمراً
ماذا يريبك في عصر نعيش به
من شاعر بالذي في قلبه جهراً

قالوا : كفرت ، ولم أكفر كما زعموا
أ كل من قال حقاً بيننا كفراً
إنّا بروض به الأزهار مُصغية
للغدليب ، وقد حفت به زمراً
يا أم كلثوم غنيّ فالغناء إذا
ذهبت عنا سيبقى عندنا أثراً

((٤))

يا أم كلثوم أحييت المنى فينا
من بعد يأس تألّما به حيناً
يا أم كلثوم إنّا أمة رزحت
تحت المصائب أحقاباً ، فسلّينا
يا أم كلثوم إنّ اليأس يقتلنا
إذا تأبّيت ، والآمال تحيينا
حملت ما يعجز الفتيان محمله
وما ابن عشرين صنوّ لابن سبعينا

إني دخلتُ جحيمي قبل آخرتي
وذقتُ في العيش زقوماً وغسلينا
يا نجمةً في سماء الرافدين بدت
إنّا نحيبك أفواجاً ، فحيّينا
يا أمّ كلثوم حيّينا مُغرّدة
حي الملائك منّا ، و الشياطينا

((٥))

غني ، وغني إلى أن يظهر الفلقُ
ويذهب الليل كلّ الليل والغسقُ
يا أمّ كلثوم غنيّنا مُسليةً
فإننا بعد أيام سنفترقُ
طلعت بعد انتظارٍ كاد يقتلنا
ككوكب في سماء الفن يأتلقُ
ما أجمل الفن قد أرخى ذوائبه
وكوكبُ الفن منه النور ينبثقُ
قد انتظرنا ونار الوجد مُوقّدة
نكادُ من حرّها اللذّاع نحترقُ
غني لنا ، ثم غني .. إنّنا فئة
إلى الغناء إذا ما طاب نستبقُ
ولنغتئم هذه الساعات سائحة
فإنني بصفاء الدهر لا أثقُ

((٦))

أميرة الفن إنّنا من رعاياك
نصبو لشدوك هذا الضاحك الباكي

في صوتك الفن قد لاقى سعادته
فإنه كل يوم - لاثم فاك
ما كنت أحسب حتى جئت مُحسنة
أن يجمع الله دنيانا ودنياك
كُنَّا إذا ما تَمَنَّينا لعاطفة
في النفس لا نتمنى غير لِقْيَاك^(١٠٠)

* * *

وهذه قصيدة الشاعر معروف الرصافي التي نظمها في تحية السيدة أم كلثوم وأنشدتها في المأدبة التي أقامها فريق من الأدباء احتفاءً بالسيدة أم كلثوم في (أوتيل الهلال) ببغداد في أصيل يوم السبت الثالث من كانون الأول سنة (١٩٣٢ م) . ونحن نفتطف منها :

أم كلثوم في فنون الأغاني أمة وحدها بهذا الزمان
هي في الشرق وحدها ربة الفن ، فما إن للفن ربّ ثاني
ذاع من صوتها لها اليوم صيت عمّ كل الأمصار والبلدان
ما تغنت إلا وقد سحرتنا بافتتان لها، وأي افتتان
في الأغاني تمثل الحب تمثيلاً صريحاً بصوتها الفتان
يتجلى في لحنها مشهد الحب أوان الوصال والهجران
فتريك المحب عند التناهي وتريك المحب عند التذاني
كل هذا في صوتها يتجلى من خلال الأنغام والألحان
صفحات من الغرام تراها ظاهرات في صوتها للعيان

(١٠٠) ديوان الزهاوي - ط دار العودة - ص ٦١٥ وما بعدها - .

تتشد الشعر في الغناء فتأتي	بلحون مطابقات المعاني
فإذا أنشدت عن الوصل أبدت	فيه لحن السرور والجدلان
وإذا أنشدت عن الهجر جاءت	بلحون تدعو إلى الأحزان
كم سقتنا كأس السرور بلحن	وبلحن كأساً من الأشجان
تفهم الروح منطق الحب مما	تتقنى به بلا ترجمان
فكأن الأتغام في الصوت منها	ناطقات لنا بغير لسان
قد سمعنا غناءها فعرفنا	كيف فعل الغناء في الإنسان
حسن صوت يزينه حسن لحن	فيه للسامعين حسن بيان
نبرات في صوتهام مشجيات	تترك السامعين في هيجان
تسترق القلوب منا بصوت	نعبذ الحسن منه بالأذان
كل لحن إذا سمعناه منها	دب فينا ديب بنت الحان
في وقار الحليم تجعلنا طوراً ،	وطوراً في خفة النشوان
نتفانى في الاستماع إليها	ونرى لذة لنا في التفاني
يشعر المرء حين يصغي إليها	بغرام من صوتها روحاني ^(١٠١)

* * *

وهذه قصيدة الشيخ محمد باقر الشبيبي^(١٠٢) الرائعة التي تدفقت بها قريحة الشاعر ترحيباً بالسيدة أم كلثوم عام (١٩٣٢م) وقد نشرت هذه

^(١٠١) ديوان الرصافي ج ٤ ص ١٤٨ وما بعدها .

^(١٠٢) هو الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد جواد الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٠) شاعر ثائر كبير ، وأديب وطني معروف . ولد في النجف الأشرف ، ودرس علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية على أكبر علماء عصره ، أشترك في التخطيط لثورة العشرين التحررية في العراق ضد الاحتلال البريطاني ، وتولى فيها جهاز النشر والدعاية . وأصدر خلال الثورة جريدة (الفرات) . وخلال الحكم الوطني أنتخب عضواً في المجلس النيابي عدة مرات . ويعتبر الشيخ محمد باقر الشبيبي من كبار الشعراء العراقيين المجددين في العصر الحديث . ويمتاز شعره بصفاء =

القصيدة أول مرة في مجلة (الرسالة) المصرية^(١٠٣) ضمن مقالة نشرها الدكتور زكي مبارك عن الشيخ محمد باقر الشببي عام (١٩٣٢م)، وبما أن القصيدة من حيث الشاعرية تفيض رقةً وعذوبةً وهي تتألف من عشرين رباعيةً، آثرنا أن ننقلها هنا بكاملها :

(أمّ كلثوم)

تطلّعتُ إلى الجوِّ وقلبي دائمُ الخفقِ
فعاينتُك في السربِ وأبصرْتُك في الأفقِ
بمَنْ سِوَاكَ كالطيرِ فمَنْ أَنْتِ مِنَ الخلقِ ؟
أَمِنْ عَائِلَةِ البلبِلِ أمْ مِنْ مَجْمَعِ الورقِ^(١٠٤)
فهِئَا أَيُّهَا الغَادِ
وغيّني على العادِ
على الشاطئِ صيداًحَ هنيئاً لكِ يا دجله
سأرعى النجمَ للصبحِ وأحيي الليلَ في الحفله
فأهلاً ظبيةَ النيلِ ومرحى جارةَ الرمله
وبوركتِ على السيرِ وهنّنتِ على الرحله

=الديباجة ونقائنها، ورقة الصياغة، وعذوبة الشاعرية. كُتب عنه الكثير، ولعل من أنفس ذلك، كتاب الأستاذ عبد الرزاق الهلالي الموسوم (الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشببي - ط (١) عام ١٩٦٥م وديوانه ما يزال مخطوطاً . ويزدان بشعره كثير من المخطوطات ، وكتب الاختيارات الشعرية الحديثة، منها كتابنا : (مختارات الغبان من ديوان الشعر العربي) وهو معدّ للطبع ويقع في أربعة أجزاء .

^(١٠٣) انظر كتاب (الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشببي) لعبد الرزاق الهلالي ط١ بغداد ١٩٦٥. نقلاً عن مجلة الرسالة المصرية العدد (٣٣٥) في ٤ ديسمبر ١٩٣٩م.

^(١٠٤) الورق بضم الواو وسكون الراء جمع (ورقاء) وهي الحمامة .

فهيأ أيها الغاده
وغنيني على العاده
إذا أمرك الدل فقد توجك الطهر
وإن كان لك الكوخ فقد عاد لك القصر
وإن قلت بك الشعر فمن إهامك الشعر
لك الأمر على القلب - وعينيك - لك الأمر
فهيأ أيها الغاده
وغنيني على العاده

هنيئاً لك بغداد فهذي أم كلثوم
من الغيد الأعاريب أتتنا ، لا من الروم
لقد أحييت لياليك بتغريد ، وترنيم
فعذراً فرحة النفس إذا قصر تكريمي
فهيأ أيها الغاده
وغنيني على العاده

أعيدي السجع والصدح وغنينا إلى الفجر
فهذي الأنجم الزهر مطلات مع البدر
فغني أروع الشعر وصوغيه من السحر
فمن نحرك للثغر ومن ثغرك للنحر
فهيأ أيها الغاده
وغنيني على العاده
أهذا منطق الطير فمن علمك الفنا
وهذا اللحن للبلبل من لقنك اللحنا
فيا صناجة الحي ويا قبثارة المغي
تعالى رجعي الصوت فما البلبل إن غنى ؟
فهيأ أيها الغاده

وغنيني على العاده
أطلني بنت فرعون على المسرح والملعب
ورفقا ربّة الصوت بأحشائي أن تنهب
فأنت الكاعب الرود فما الظبي .. وما الربرب؟^(١٠٥)
خذي روعي إلى مصر فمصر الوطن الأقرب

فهيا أيها الغاده

وغنيني على العاده
رأيت البلب الشادي على البانة في الوادي
لقد غرد في الروض وقد غردت في النادي
إذا ملت على الناس بمياس ومياد
فرحماك بأحشاء ورحماك بأكباد

فهيا أيها الغاده

وغنيني على العاده

سلي قلبي عن الحب فقد ذاب من الوجد
وكم لاب على الروض وكم حام على الورد
سليني شاحب اللون فمن سهد إلى سهد
خذي قلبي الى (السوفد) فاني في الهوى (وفدي)

فهيا أيها الغاده

وغنيني على العاده

سلام شمعة الليل سلام .. أنت مصباحي
لقد هيئت أشجاني كما هيئت أفراحي

^(١٠٥) الرود - بفتح الراء وسكون الواو - الريح اللينة الهبوب . و(الربرب) القطيع من الظباء لا

واحد له .

فـيـا مُـطـرـبـةَ الرُّوحِ دَعيـنـي ، لـسـتُ بـالصَّاحـي
 أَمَنْ يـسـكـرُ بـالحـبِّ كَمَنْ يـسـكـرُ بـالـحـرِّ
 فـهـيـا أَيـهـا الغـادـه
 و غـنـيـنـي عـلـى العـادـه
 سـلامٌ .. يـا ابـنـةَ الرِّيفِ عـلـى العـفـةِ و العـصـمـه
 عـلـى الخـفـةِ فـي الطـبـعِ عـلـى الرِّقـةِ و الحـشـمـه
 عـلـى الإجـلالِ لـلـفـنِّ عـلـى مـعـرـفـةِ الخـدـمـه
 سـلامٌ .. أُمِّ كـلـثـومٍ عـلـى النـبـرةِ و النـغـمـه
 فـهـيـا أَيـهـا الغـادـه
 و غـنـيـنـي عـلـى العـادـه
 تـمـنـاك بـيـغـدـادَ جـمـاعـاتُ ، جـمـاعـاتُ
 و حـيـاك عـلـى الجـسـرِ زـرافـاتُ ، زـرافـاتُ
 فـشـبـانُ أـعـفـاءَ و غـادـاتُ عـفـيـفـاتُ
 فـمـن قـلـبـي أشـواقُ و مـن رـوحـي تـحـيـاتُ
 فـهـيـا أَيـهـا الغـادـه
 و غـنـيـنـي عـلـى العـادـه

لـقـد أشـرق كـالـبـدرِ عـلـى النـاسِ مُـحـيـاك
 و قـد هـبَّ مـع الفـجـرِ نـسـيـمٌ فـيـه رِيـاك
 بـمـن صـورَ شـدـقـيـك و مـن صـاغ ثـنـايـاك
 أـمـا أـرـسـلك الفـنَّ إلـيـنا ، فـأـطـعـنـاك
 فـهـيـا أَيـهـا الغـادـه
 و غـنـيـنـي عـلـى العـادـه

تفننت بأنغام هي اللذة والفتنة
فما أدري .. أمن مصر نزلت ، أم من الجنة
فمن يملك ذا الصوت ومن تملك ذي الغنة
أيا حجرة البلبل غني هذه اللحنة
فهيأ أيها الغاده

وغنيني على العاده

إذا غنيت في الحب فغنني باسم من أهوى
وإن لج بك الشوق فبئيه مع النجوى
فما شكواك لليل أ يصغي الليل للشكوى ؟
لأنت سلوة النفس ومن أحلى من السلوى
فهيأ أيها الغاده

وغنيني على العاده

بعثت عصر ولاده فجسني الناي والعودا
فما أنغام داود لقد أنسيت داودا
وما الحان إسحاق إذا رددت ترديدا
فيا أغرودة الروح لقد أبدعت تغريدا
فهيأ أيها الغاده

وغنيني على العاده

إذا طاولت يا مصر فمن حقك يا مصر
وإن عز بك الفن فقد عز بك العصر
وإن كان لنا سبق قديماً ، فلك الفخر

فغني أم كلثوم فأنت الشعر والسحر
فهيا أيها الغادة
وغنيني على العادة
إذا ودَّعت بغداد ورفرفت على النيل
فحي عصابة الفن وخصيها بتبجيلي
ولوذي بثرى (سعد) أبي الصيد البهاليل
سيحيا وطن فاض عليه قلب (زغلول)
فهيا أيها الغادة
وغنيني على العادة
عجبنا أم كلثوم من الحادثة الكبرى
لماذا انقسم الوفد ومن ذا بيت الأمرا ؟
ألا من يجمع الشمل ألا من يطرد الشرأ
خذي حذر يا مصر وردي الكيد والمكرا
فهيا أيها الغادة
وغنيني على العادة
رأيت الخصم جذلان بما جد من الخلف
أحقا فصل الوفد (نجيبا) وهو في الصف
فهذا الحادث البكر أرانا موطن الضعف
إلى الوحدة يا مصر إلى الإشفاق والعطف
فهيا أيها الغادة
وغنيني على العادة (١٠٦)

* * *

(١٠٦) وردت هذه القصيدة في عدة مراجع ، ونحن أثرنا أن ننقلها من كتاب (أم كلثوم في آفاق الشعر والفن) للأستاذة ودیعة جعفر الشیبی ط بغداد (١٩٨٤م) ص ٥٣ وما بعدها ، لأن القصيدة منشورة بكاملها في هذا الكتاب ، مضافا إلى أن مؤلفته الفاضلة هي بنت أخ الشاعر مما يجعل القصيدة موثقة أكثر من أي مرجع آخر .

وهذه قصيدة الشاعر إبراهيم أدهم الزهاوي^(١٠٧) التي نظمها ترحيباً بالسيدة أم كلثوم ، ونحن نفتطف منها قوله :

أم كلثوم دولة تتباهى أرضها في وجودها وسماها
حكمت في القلوب أعلى الحكومات ، تناهى دون القلوب مداها
عرشها ثابت العلى لم يزله ما يزيل العروش عن عليها
وأدارت من فنها صولجاناً عنده ألقت الفنون عصاها
هي إنسانة ، ولكن في فيها مـلاكاً ، تجنب الأفواها
خشعت عندها الجوارح إلا آهة أمسكت بأخرى يداها
كتمائيل بابل أظهر الفن هواها ، وأنطق السحر فاهها
كلما غردت بحفل أرتنا صوراً تخب العقول رؤاها
يا هزار النيل التي تتمنى نغمات الهزار رج صداها
أنت ضاعفت ألسن الطير حسناً وتفننت في اختراع لغاها
ضاعفت حسنها بما قلدتها من حلي تصوغه شفتاها
جمعت في غنائها حسانات لم تجد عند غيرها إحداها
أم كلثوم غرة القمر الطالع في أفق فنها بغلاها
أم كلثوم شعلة من غلاها لم تخلف لنا العصور سواها
صانها الله للفنون ، وأبقاها ، ولا ذقت النفوس نواها^(١٠٨)

^(١٠٧) إبراهيم أدهم الزهاوي (١٩٠٢-١٩٦٢) هو ابن أخ الشاعر جميل صدقي الزهاوي فهو من بيت شعر وأدب وعلم ، درس الفقه والحديث واللغة على أشهر الأساتذة في عصره ، وتخرج في جامعة آل البيت عام ١٩٣٠ م ، وشعره يتوزع على ثلاثة مواضيع أساسية هي : الإسلام ، والسياسة ، والعروبة . طبع ديوانه في القاهرة باسم (ديوان إبراهيم أدهم الزهاوي) عام

١٩٦٩ وهو من جمع وتحقيق عبد الله الجبوري ومراجعة الدكتور شوقي ضيف

^(١٠٨) انظر (ديوان إبراهيم أدهم الزهاوي) - ص ٢٣٥ - .

وهذه قصيدة الشيخ محمد بهجة الأثري ترحيباً بأَمِ كُثوم ، وعنوانها
(غناء وأرواح) نقتطف منها :

روحٌ من المَلَأِ الأعلى يُناجينا
أَمِ باغَمٌ من ظباءِ الخلد يُشجينا^(١٠٩)
ماذا أَحْسُ بنفسي ؟ غيرَ أَنَّ صدى
يكاد من رقةِ يَفنى ويُفني
شدو أَفانينُ من شجوٍ ومن طرب
يبيت ينشرنا طوراً ، ويطوينا
قد فاض حتى كَأَنَّ الصبحَ يغمرنا
و رَقَّ حَتَّى كَأَنَّ الناي يُسلينا
إِنْ شَتَّهَ ضَحْكَاً أَوْ شَتَّهَ شَجْناً
يمنحك أَحْسَنَ ما تهوى أَفانينا
هيَمان يفتنُ وهو الدهرُ مُفتتنُ
أعجبُ به فاتناً قد راح مفتونا
سَلِّ ساريَ النجمِ عنه كيفَ قيَّده
حيرانَ يسمع منه السحرَ تلحينا

* * *

(١٠٩) البغام : صوت الظبية .

حمامة النيل ، والدنيا على قدم
تُصغي إليك بأذان المشوقينا
رفقاً بأرواح مسحورين قد ثملوا
لماً هتفت ، وهاموا فيك صابينا
إنّ الدموع التي رقرقت لؤلؤها
أرواحنا الهيم تهمني من مآقينا
نحنُ الصحاة السُكاري إنْ شدوت لنا
والهائمون ، وقد غابت رواقينا^(١١٠)

تلك هي أهم القصائد التي تدفقت بها قرائح نخبة من ألمع الشعراء
المُجدّدين في الشعر العراقي المعاصر ترحيباً بالسيدة أم كلثوم وإعجاباً بفنّها
الأصيل وغانائها الجميل .

ولكن شيخ شعراء عصره الشيخ محمد الجواد الشببي حين رأى أولئك
الشعراء المُجدّدين الكبار يلهمهم الترحيب بسيدة الغناء العربي ، ويشغلهم
التأثر بصوتها الرخيم ، وشدوها الساحر ، وغانائها البديع ، عن مشاكل
الوطن ولواعجه وشجونّه ، تفجرت شاعريته الموهوبة عن قصيدة عصماء
تقع في ستة وسبعين بيتاً ، هي أشبه بملحمة من الملاحم الشعرية ،
استعرض فيها تاريخ أمتّه المجيد ، كما عرض إلى جانبه صوراً مؤلمة من
حاضرها الطافح بالشقاء ، نتيجةً لتسلط الحكام الظالمين ، الضالعين في
ركاب المستعمرين الذين كبّلوا الشعب بقيود المعاهدات الاستعمارية الجائرة .

^(١١٠) انظر ديوان (ملاحم وأزهار) للشيخ محمد بهجة الأثري ط الهيئة المصرية العامة في
القاهرة عام ١٩٧٤ - ص ٣٠١ .

والقصيدة - كما سيراهما القارئ - ملأى بالمضامين السياسية ،
وطافحة بالمشاعر الوطنية ، ومعبرة عن كل معاناة المواطنين وبؤسهم
وشقائهم .

أجل لقد تفجر ينبوع الألم في الشاعر حين رأى شعراء العراق الكبار
مبهورين بذلك الغناء الشجي المثير الذي تؤديه السيدة أم كلثوم على
مسارح بغداد ، ناسين أو متناسين قضايا شعبهم المصيرية ، فاشتعلت نار
الغضب في أعماق مشاعره التي راحت تقبس جمرها مما يتأجج في حناياه
من نار أوقدتها أوجاع الوطن ، وأضرمتها آلام الشعب ، فأطلقها صرخة
مدوية مجلجلة في آفاق الرافدين ، والمرارة تغمر جوانحه ، مخاطباً (قمرية
الدوح) ^(١١١) التي راح يناجيها ، ويبثها همومه المتوقدة بين جنبيه ،
والأحزان المخيمة على آفاق جوانحه ، طالباً من (قمرية الدوح) ذات
الترانيم الشجية أن تحوم مع النسور ، محلقة فوق الأرض العربية التي نهب
المستعمرون خيراتها ، وأذاقوا أبناءها صنوف الظلم والاضطهاد ، مؤملاً أن
تستطيع (قمرية الدوح) مشاطرة الأمة الثكلى بكاءها ، ومقاسمتها آلامها
وعذابها ، ثم يحضها النصيحة أن تحلق في أعالي الآفاق ، لتكون بعيدة
عن وجه الأرض التي أرهقها الجور ، وأنهكها الظلم حتى لم يبق فيها (وكر
غير محطوم) - على حد تعبيره - .

ثم هو بعد ذلك يطلب من (قمرية الدوح) أن تبكي مؤبنة تيجان
ملوك العرب الذين أنزلهم الاستعمار الغاشم عن عروشهم ، وأوسعهم ضرباً
وتعذيباً من كل جهة يواجهونها أو يتجهون إليها ، حتى ضاقت بهم الأرض

^(١١١) (القمرية) - بضم القاف وسكون الميم وكسر الراء - ضربت من الحمام حسن الصوت عذب
الغناء ، وجمعها (قماري) - بفتح القاف ، و(الدوح) الشجر العظيم ذو الفروع المتشعبة واحده
(دوحة) .

(وأبصروا الخلف قدأماً لدهشتهم) لذلك فهو يعذرهم في استسلامهم وعدم مقاومتهم لتلك القوى الظالمة ، إذ كيف يستطيعون مقاومتها بسيف جعلته (مطرقة الأقدار مثلوما) ثم هو يستنجد بالمغاوير من أبناء دجلة والفرات لعلمهم يعيدون للأرض عزتها ، وللحياة كرامتها ، لولا ظلم المقادير التي جعلتهم مكتوفي الأيدي فليس في وسعهم عمل أي شيء يسبغ على عيشهم الغضارة والنضارة .

ولقد بقي شاعرنا وهو في عنفوان ألمه منفتح النفس والفكر والرأي، فلم ينغلق على أي جديد في ذلك العصر الذي أسمته الحضارة الغربية (عصر النور) بل فتح قلبه عليه ، وإذا به وبكل مرارة اليأس والقنوط لم ير من ذلك النور إلا نيران الظلم والتعسف والاستبداد التي أحرقت بلهبها كل خيرات الوطن .

ولم يكن شاعرنا في قصيدته الغراء إقليمياً النزعة ، عراقي النظرة ، بل كانت نظريته قومية شاملة ، فهو حين يرى أبناء شعبه تلهب ظهورهم سياط ذلك الظلم ، وتوجعهم ضربات ذلك التعسف والاستبداد لم تشغله تلك المآسي عن نسيان فجائع ومطامع المستعمرين على امتداد الوطن العربي الكبير في مشرقه وفي مغربه فهو يتوجع (لدمشق) ومآسيها ، ويتألم (حلب) ومواجعها ، ويتمزق لفظائع (لبنان) وجبله الأشم ، ويلتهب جمراً لما يعانيه (السودان) الذي تراحم على (خرطوم) (ألف خرطوم) - على حد تعبيره البديع - ثم هو يُعرج على (مصر) فيهتز كيانه لما يعصف بها من زوابع الأحداث ، فيستنكر عليهم اختلاف كلمتهم ، وعدم وقوفهم صفاً واحداً بوجه المستعمرين الغاشمين ، حتى أنكر (الصعيد) و(الفيوم) بصوت مجلجل (وما الصعيد صعيدي ... وما الفيوم فيومي)

ثم بعد ذلك يطالب (قمرية الدوح) أن تطلّ لتري أمماً مخنوقة الأنفاس ، مبحوحة الأصوات في أوطانها التي لا تملك فيها من أمر حريتها

شيئا ، ثم يستمر في مناجاة (قمرية الدوح) فيقول لها : إنك لو استقرت العراق بقعةً بقعةً لما وجدت فيه أذنًا واحدة تستطيع أن تصيح وتستمع (لأبكار الأناغيم) لأن ما يحدق بالعراق والعراقيين من المصائب الفظيعة يحول بينهم وبين الاستمتاع بأي صوت من أصوات النغم ، وأي لحن من ألحان الغناء الذي هو عنه في شغل شاغل ، ولكن شاعرنا مع كل ذلك لم يتسرب إلى نفسه القنوط والتخاذل ، بل نراه يتطلع بكل الثقة في آفاقه البعيدة المدى نحو بزوغ فجر الأمل العربي ، لذلك فهو يعاهد (قمرية الدوح) بأنه لو استطاع العرب أن ينفضوا عنهم غبار الخنوع والخضوع ليحموا أوطانهم مما يحيق بها من المكر السيئ بكل ما يمتلكون من قوة ضاربة ، ليعيدوا مجدهم الدائر وملتهم الغابر ، وعند ذلك يعاهد (قمرية الدوح) بأنه سيعلق على صدرها أسمى أوسمة التلقب ، ويقلدها أجمل وأحلى لآلئ إبداعه الفني من منثور ومنظوم ، أما وهو يرى ثروات الوطن وخيراتهِ يتناهبها نفر تقاطروا عليه بين (مجهول ومعلوم) ، كما يرى بعينه - وحيثما امتد بصره - أبناء شعبه وهم بين (معدوم بلا جدة ، وبين موجود كمعدوم) ، كما يرى بعينه أيضاً بين الناس الذين هم حوالية من كل (سافل يتعالى فوق موضعه) و(ظالم يتردى جلد مظلوم) مما جعل كل مواطن غيور يعيش في ذلك الجو المكفهر بالظلم والظلام في حالة لا يمكنه معها أن يفرق بين هديل الحمام ونعيب البوم لشدة ما كان يهز مسامعه من رنين الأحداث المفجعة وصراخ الجموع الهادرة ، وأنى له والحالة كذلك أن يثير مشاعره أي لون من ألوان الطرب والتغريد والغناء ، أما ما يقوله الخليئون من أن التغريد والغناء غذاء تنتعش به الروح ، وترتاح إليه النفس فانه يطلب منهم أن يقوموا بفحص أرواح المواطنين لعلهم يستطيعون أن يجدوا بين تلك الأرواح (روحاً غير مألوم) ، وإذا كانت الروح تكابد أوجع الآلام وأمضتها ، فكيف يمكنها وهي كذلك أن تنتعش بطرب أو غناء ، ثم هو يتساءل في النهاية كيف يمكن أن

يتم علاج داء بداء آخر ، (وشارب السم هل يشفى بمسموم) ، على حد تعبيره الذي يختتم به قصيدته الرائعة .

والآن ندع القارئ الكريم وجهها لوجه أمام تلك اللوحة الشعرية البديعة ، ليراها كما هي . ملوّنة بالعواطف الصادقة ، نابضة بالمشاعر الإنسانية النبيلة ، طافحة بالتعبير عن معاناة الشعب وهمومه^(١١٢) ، مقتطفين من أزاهيرها هذه الباقة العطرة :

(قمرية الدوح)

(قمرية الدوح) يا ذات الترانيم

مع النسور على ورد الردى حومي

سيرى مع الجحفل الجرّار خافقة

وسابقي فوقه سرب القشاعيم

وذكرها عهدود البيض ماضية

فإن عهد المواضي غير مذموم

وناوحي الأمة الثكلى ، فقد رزنت

بلادها بالمطاعين المطاعيم

خلت بلادك من قوم فرانسهم

ملء البسيطة من فرس ومن روم

^(١١٢) وقد وهم جامع ديوان (ابراهيم أدهم الزهاوي) ومحققه حين قال في (ص ٢٣٥) من الديوان

المذكور : (وقد نظم في تحية أم كلثوم جمهرة كبيرة من أكابر شعراء العراق منهم الشيخ جواد

الشبيبي بقصيدة مطلعها :

قمرية الدوح يا ذات الترانيم مع النسور على ورد الردى حومي

والقصيدة كما سيرها القارئ ليست ترحيباً بأم كلثوم ، ولا في تحيتها ، بل هي رد على من

قام بتحيتها والترحيب بها من كبار الشعراء العراقيين الذين كان من بينهم وندد الشيخ محمد باقر

الشبيبي .

(قمرية الدوح) ما في الدوح من ثمر
 إلا تعاليل محزون لمهموم
 وباعدي الأرض إن الجور أرهقها
 ووحدني الصف في هذي الأقاليم
 ما في العواصم من ضيق ومن نوب
 أضعافه في الفيافي والدياميم^(١١٣)
 فناشدي الغرب : كم دانت لهم دول
 وكم جبوها بتحبير المراسيم
 طيري على الأفق الأعلى فليس على
 وجه الثرى وكر طير غير محطوم
 وأبني أسر التيجان مذ نزلوا
 عن العروش بإذعان وتسليم
 مخدمين بأمثال الدمي صوراً ..
 وا رحمتا للسلطين المخاديم
 أهل الأكاليل لا تأسوا ، فما غقدت
 إلا إلى أجل في اللوح مرقوم
 في ذمة المجد مطرودون عن سد
 كانت مواقف تمجيد وتعظيم
 كم عاهل يستميح الدهر رحمة
 أماته الدهر حياً غير مـرحوم

^(١١٣) الفيافي : الفيف هو المكان المستوي وهو المفازة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسعة
 والدياميم : جمع ديموم وديمومة وهي القلاة يدوم السير فيها لكونها بعيدة المدى .

مشى الزمان بأهليه كمضطرب
 في المتن مندفع ، في الصدر مـلـكـوم
 فأبصر الخلف قدأماً لدهشته
 وصار يخلط تأخيراً بتقديم
 هذي الحوادث جلّت أن تكافح في
 سيف بمطرقة الأقدار مثوم
 لولا المقادير سالت دون دجلتنا
 على الردى أنفس الصيد المقادير
 سلى الفرات ففي أريافه عـرـب
 بيض الظبا والمساعي الغر والخيم^(١١٤)
 الراصدون على الأعداء مهريهم
 والمالكون عليهم مـوـرـد الهم
 كم من عكاظ أقامته سيوفهم
 وموسم برذاذ الهام موسوم

* * *

(فمريّة الدوح) أضحت أرضه يبساً
 ومزهر الغصن أمسى غير مرهوم^(١١٥)
 قد كان يمتص ضرع الغيث مندفعاً
 فعاد يعطب في برحاء مـفـطـوم
 تبصري الأرض هل قامت مناكبها
 على أساس قديم غير مـهـدوم

^(١١٤) الخيم - بكسر الخاء - السجية والطبيعة .

^(١١٥) مكان مرهوم : أصابه الرهام ، و الرهام المطر الخفيف الدائم . يريد الشاعر أن مزهر الغصن أمسى جافاً غير مسقى .

جاء الجديد فقلنا سوف يخلفه
 حلاً بحل ، وتحريماً بتحريم
 فأسفر العصرُ عصرَ النورِ عن زمن
 بالعصف مُتقد ، بالظلم مـضروم
 سوق من الحمد قامت في معارضه
 رماحهم وهي لم تعرض لتقويم
 سكان (جُلُق) ذات المرج جادكم
 بعارض من فتوق السُحب مسجوم
 ومنبت الزهر : زهر الفضل في (حلب)
 لا زلت تنفخ في شبح وقيصوم^(١١٦)
 ويا حواضر (لبنان) تجاور في
 بحر - بمثل هموم الشعب - مفعوم
 ويا نزولاً على (الخرطوم) زاحمكم
 في مورد النيل عذباً ألف خرطوم
 مدّت من الغرب وامتصت موارده
 فليت لا كـرعت إلا بيحموم
 ظمى لها .. ما كفاها البحر ملتطماً
 كأن أمواجه موقورة الكوم^(١١٧)
 حتى أتت لمجاري الشرق دافقة
 عيونه بين سلسال وتسليم^(١١٨)

^(١١٦) الشيخ : نبت رائحته طيبة قوية وجمعه شبحان ، والقيصوم : نبات قريب من نوع الشيخ ، كثير في البادية .

^(١١٧) الوقر - بكسر الواو-: الحمل الثقيل ، والموقورة التي حملت حملاً ثقيلاً.
 وكوم الشيء كوما عظم وغلب استعماله في سنام البعير فهو أكوم والناقاة كوماً وجمعها (كوم) يريد الشاعر أن أمواج البحر ضخمة وكبيرة كالنوق الضخمة التي تحمل حملاً ضخماً كبيراً.
^(١١٨) التسليم : ماء في الجنة . قال تعالى : (ومزاجه من تسليم عينا يشرب بها المقربون) (المطففين: ٢٨).

أَلْقَيْت مَبَادئَهَا دَرْسًا يُعَلِّمُنَا
سَوْءَ الْمَبَادِئِ مِنْهَا وَالْمَخَاتِيمِ
تُظَاهِرُ الشَّرْقَ بِالْخُسْنِ مُدَاجِيَةً
وَحَقْدَهَا كَامِنٌ مَلَأَ الْمَحَازِيمِ
وَتُوضَحُ الشُّكُّ بِالْإِيْهَامِ تَعْمِيَةً
وَاحِيرَتَا بَيْنِ مَشْكُوكٍ وَمَوْهُومٍ
كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى التَّطْبِيقِ مُذْ بَرَأَتْ
هَذِي الْمَصَادِيقِ مِنْ تِلْكَ الْمَفَاهِيمِ
يَا مَصْرُ : قَوْلِي لَوْفِدِ الْعِزِّ مَذْ لِبَسُوا
تِلْكَ الْعَوَارِي مِنْ لُومٍ وَمِنْ لُومٍ (١١٩)
لَيْسَ (الصَّعِيدِ) صَعِيدِي يَا فَرَاغْتِي
إِذَا اخْتَلَفْتُمْ ، وَمَا (الْفَيُومِ) فَيُومِي
كُونُوا مِنْ الذَّهَبِ الْمَسْبُوكِ سَلْسَلَةً
إِبْرِيْزُهَا غَيْرَ مَفْصُومٍ وَمَوْصُومٍ
نَامَ الْخَلِيْثُونَ حَيْثُ اللَّيْلُ يُرْفَعُ فِي
سَقْفٍ بِأَعْمَدَةِ الظُّلْمَاءِ مَدْعُومٍ
وَأَنْتُمْ لَا حَشَايَاكُمْ مُمَهَّدَةً
وَلَا جَفُونَكُمْ مَالَتْ لَتَهْوِيْمٍ
لَوْفَاضٍ بِحَرِّ الدَّجَى وَامْتَدَّ زَاخِرُهُ
قَلْتُمْ لِأَفْكَارِكُمْ فِي قَعْرِهِ عَوْمِي
أَرَاؤَكُمْ مِنْ حَدِيدِ الْحَقِّ ضَرْبَتَهَا
تَأْتِي عَلَى كُلِّ مَكْذُوبٍ وَمَزْعُومٍ
صَرَخْتُمْ وَلَهَيْبِ الْعِزِّمْ يَلْفَحُكُمْ
كَالْفَحْلِ يَهْدُرُ مِنْ تَحْتِ الْمِيَّاسِيمِ

(١١٩) اللوم - يفتح اللام من الملامة ، و(اللوم - باللام المضمومة) مخففة الهمزة من اللوم .

قام الموحّد منا وهو مُرتعدٌ
واهتزّ من هولها أهل الأقاليم ^(١٢٠)
* * *

(قمرية الدوح) قومي فأنظري أمما
مخنوقة الصوت في أوطانها .. قومي
ما في العراق إذا استقرت بقلعه
أذن تصيخ لأبكار الأناغم
يدّ علينا لذات الطوق نشكرها
بذكرات احتفالات وتكريم
إن عاد للعرب الأمحاض ملكهم
وحصنوا الأرض بالبيض المخاذيم
حقاً نناديك والتلقيب أوسمة
يا نغمة الورق ، بل يا بغمة الريم ^(١٢١)
إن تُرجعهم إلى أدوار ملكهم
فأنت أنت اصدحي ، لا (أم كلثوم)
أجيزك اللؤلؤ المنسوق من كلمي
وأحسن الدرّ منثوري ومنظومي
تغردين وذي الأقطار ما برحت
تبكي لتذكار توزيع وتقسيم
كم هيّا الظافر المنهوم دعوته
منها لكل عميق الشدق مقروم

^(١٢٠) الأفتوم : الأصل . وهو لفظ دخيل في العربية وجمعه الأقاليم ، و الأقاليم الثلاثة عند
النصارى : الأب والابن وروح القدس .
^(١٢١) الورق : تقدم شرحها ، والبغام : -بضم الباء- صوت الظبية ، والريم : الظبي الخالص
البياض .

وا ضيعة المال والأحلام من نفر
 تقاطروا بين مجهول ومعلوم
 كأنهم ودواعي اللهو تجذبهم
 ركب يخف بمزموهم ومخطوم
 خالوا مزامير داود لهم خبئت
 أنغامها بين أشداق وحلقوم
 فصيروا قاعة الألحان جنتهم
 فأيتها وهي في لغو وتأثيم
 فابن الثلاثين حي لا عصام له
 وابن الثمانين ميت غير معصوم
 سيان للهاجس المحزون في وطني
 ترنيمة الورق أو تنعابة البوم
 هذي البلاد ، فمعدوم بلا جدة
 إن طفت فيها ، وموجود كمعدوم
 وسافل يتعالى فوق موضعه
 وظالم يتردى جلد مظلوم
 قالوا : الغناء غداء الروح ينعشه
 وإن يكن غير مشروب ومطعم
 قلت : افحصوا هذه الأرواح إن حييت
 وأرشدونا لروح غير مألوم
 متى يكون علاج للضنى بضنى
 وشارب السم هل يشفى بمسموم ؟ (١٢٢)

(١٢٢) نقلا عن (مختارات الغبان من ديوان الشعر العربي) لمحمد جواد الغبان - المخذ للطبع ،
 وهي مطابقة لما في مجموعة السيد عبد الغفار الحبوبى ، ومجموعة الشاعرة ودبعة جعفر
 الشيبى حفيدة الشاعر .

كلمة الختام

حول مادة البحث ومنهج الدراسة

والآن ويعد أن أوشكنا أن نلملم أوراقنا ، وأن نضع القلم جانباً ، وقبل أن نوصد أبواب الحديث في هذه الدراسة التي وصل بنا المطاف إلى نهايتها لابد لنا من التنويه والتذكير بما ألمعنا إليه - في بداية هذا البحث - وفي ثناياه من الطرافة التي يتضمنها الموضوع ، والجدة التي يحتويها ، والقصائد التي يضمها مما لم يجتمع قبلاً على صعيد واحد ، وبناءً على ذلك فإننا نقولها بكل اعتزاز وفخر أن هذا البحث لم يسبق لأحد من المؤلفين والباحثين أن تناول موضوعه بدراسة مستقلة ، شاملة ومستوعبة لجوانبه كلها ، ومُلَمَّة بأطرافه جميعها ، مما دفعنا -برغبة مخلصـة وصادقة - إلى استقصاء مصادر البحث ، والعكوف على إعدادهِ وإنجازه بالشكل الذي أسفرت عنه هذه الدراسة الجديدة التي هي من دون شك ذات قيمة أدبية ، وأهمية اجتماعية تتعلق بشؤون المرأة العراقية المعاصرة ، ومعالجة بعض همومها ومشاكلها الاجتماعية ، كما نكرر الإشارة بكل اعتزاز إلى ما تضمنته هذه الدراسة من إبداعات شعرية لنخبة من أكبر الشعراء العراقيين المُجدِّدين في الثلث الأول من هذا القرن .. تلك الإبداعات التي لا نغالي إذا قلنا : بأنه لم يتسن لأغلب الأدباء العراقيين الاطلاع على روائعها ، فضلاً عن الأدباء العرب في مشرق الوطن العربي ومغربه .

وتكتسب تلك الإبداعات الشعرية - التي تعتبر ديواناً رائعاً من دواوين الشعر العراقي الحديث في موضوع اجتماعي قيِّم - أهمية بالغة

وخصوصية متميزة ، وتأتي تلك الأهمية والخصوصية من كون ذلك الموضوع يعالج قضايا بالغة الخطورة تتعلق بالدعوة إلى تحرير المرأة العراقية ، لكي تأخذ مكانها اللائق بها جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل ، وشريكها في العمل على تحقيق السير بالوطن والشعب نحو مستقبل باهر وزاهر يرجو الوصول إلى الرقي والتقدم والحرية .

كما نرى من الضرورة أن نؤكد على منهجنا في هذه الدراسة بعدم التحيز أو الجنوح إلى أي رأي من الآراء المختلفة والأفكار المتصارعة التي وردت في ثناياها ، لأنه ليس من مهمات هذا البحث ، التعبير عن وجهة نظرنا الخاصة ، حيث يفرض علينا التجرد النزيه والمنهجية السليمة الوقوف على الحياد التام بين الأفكار والآراء التي وردت فيها مهما كانت تلك الآراء متطرفة نحو اليمين أو اليسار ، وذلك إضفاءاً للمصداقية العلمية على مسيرة البحث الذي تنحصر مهمتنا فيه باستعراض الآراء وليس بتبني رأي معين منها .

كما نرى أخيراً - من الضرورة بمكان - التأكيد على عدم تقييمنا للنماذج الشعرية التي تضمنتها البحث ، وعدم قيامنا بدراسة قيمتها الفنية لتحديد مستواها الشعري حيث لم يكن ذلك التقييم الفني من مهمات هذا البحث الذي ليس هو دراسة نقدية فنية ، بل هو لا يتعدى الخط المرسوم له من كونه بحثاً تاريخياً أدبياً يستعرض فترة معينة من تاريخ المرأة العراقية المعاصرة فيما يتعلق بالدعوة إلى تعليمها وسفورها ، وتحطيم القيود التي كبلها بها المجتمع ، ودور الشعر العراقي المعاصر في عرض وحل تلك القضايا والمشاكل التي تخص المرأة العراقية المعاصرة .

والحمد لله أولاً وأخيراً .

محمد جواد الغبان

العراق - بغداد ص ب ٢٢٠٣٨

كشافُ الأعلام

(يتضمن أسماء الأشخاص ، والأماكن ، والصحف والمجلات)

☆ ☆ ☆
(١)

- إبراهيم الأبياري - ٣٨-
- إبراهيم أدهم الزهاوي - ١٢٠-١٣٢-١٣٨-
- إبراهيم باشا - ٢٣-
- إبراهيم السامرائي - ٤٥-
- إبراهيم الكبير - ٧٤-
- إبراهيم الوائلي - ٣٧-
- أبو حمزة الضبي - ٥٩-
- الاثري = محمد بهجت الاثري
- أحمد أمين - ٣٨-
- أحمد الزين - ٣٨-
- أحمد شوقي - ٩١-٢٤-
- أحمد الصافي النجفي - ٣٣-
- الأخطل الصغير = بشارة الخوري
- الاستانة - ٧٧-٢٨-
- اسكندر المعلوف - ١١٥-
- الإسكندرية (مدينة) - ٢٣-
- إسماعيل باشا - ٢٣-

- إسماعيل صبري - ٢٦ -
أم كلثوم (كوكب الشرق) - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٥ - ١٣٢ - ١٣٤ - ١٣٥ -
الأمل (صحيفة) - ٧٩ -
ألمنيا (مدينة) - ٢٧ -
أندرسن (المستشرق الإنجليزي) - ٤١ -
أنور شاؤول - ٧٤ -
أوتيل الهلال (مسرح) - ١١٨ -
ايران - ٢٨ -

(ب)

- باحثة البادية = ملك حفني ناصف
البرق (جريدة) - ٩١ -
بشارة الخوري - ٩١ - ٩٢ - ١١١ -
البدائع (مجلة) - ٧١ -
بغداد (جريدة) - ١٠٦ -
بغداد (مدينة) - ٤١ - ٤٢ - ٥٠ - ٥٨ - ٦٣ - ٧١ - ٧٢ - ٨٦ - ٩٥ - ٩٦ - ١٠٦ - ١١٤ - ١١٩ -
البلاد (جريدة) - ٢٨ -
بلسم عبد الملك - ١١٥ -
بيروت - ٧٠ - ٧٣ - ٧٦ - ٨٦ - ٩١ -
توفيق الفكيكي - ١١٤ -
تنوير الأفكار (جريدة) - ٧١ -

(ث)

- ثائر حسن جاسم - ٤٥ -

(ج)

الجاحظ - ٥٩ -

جعفر الخليلي - ٨٦ -

جعفر كاشف الغطاء - ٥١ - ٥٢

د. جلال الخياط - ٧٦ -

جميل صدقي الزهاوي - ٧ - ٨ - ١٠ - ٣٣ - ٤٢ - ٤٣ - ٥٧ - ٥٨ - ٦١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ -

١٣٢ - ١٢٠ - ٨٠ - ٧٦

جواد الشبيبي (الشيخ) = محمد جواد الشبيبي

(ح)

حافظ إبراهيم - ٣٨ - ٣٩ - ٨٥ - ٨٦ -

حافظ القاضي - ١١٤ -

الحبوبي = محمد سعيد الحبوبي

الحبوبي = محمود الحبوبي

حسين الرحال - ٧١ -

حسين الشعر باف - ٤٣ -

حسين الظريفي - ١١٣ - ١١٥ -

حلب (مدينة) - ١٣٦ -

حمود الحمادي - ٢٨ - ٤١ - ٦٢ - ٧١ - ٩٧ - ١٠٠ -

(خ)

الخذر (مجلة) - ٧٨ -

الخرطوم (مدينة) - ١٣٦ -

خليل إسماعيل - ١١٤ -

خير الدين الزركلي - ٢٧ - ٣٩ - ٤١ -

(د)

دمشق (مدينة) - ١٣٦ -

(ر)

رشيد بكتاش - ٤٥ -

الرشاد (جريدة) - ٧١ -

الرقيب (جريدة) - ٤٨ -

(ز)

الزركلي = خير الدين الزركلي

زكي مبارك - ١٢٦ -

الزهاوي = جميل صدقي الزهاوي

الزوراء (جريدة) - ٢٩ -

(س)

سامي شوكت - ١١٥ -

سعد زغلول - ٢٤ -

سعيد باشا - ٢٣ -

سلامة موسى - ٧٥ - ٧٦ -

سليم ترزي - ٧٤ -

سهام ابو جودة - ٩١ -

السودان (قطر) - ١٣٦ -

سوريا (قطر) - ٢٧ -

(ش)

شاكر هادي شكر - ٨٦ -

الشبيبي الكبير = الشيخ محمد جواد الشبيبي

د. شوقي ضيف - ١٣٢ -

الشويفات (بند) - ٧٨ -

(ص)

صالح الجعفري - ٧-٨-٣٣-٤٥-٥١-٥٢-٥٣-٨٢-٨٣ -

الصحيفة (جريدة) - ٧١ -

(ط)

طلعت حرب - ٢٦ -

(ع)

العالم الاسلامي (مجلة) - ٥٨ -

العالم العربي (جريدة) - ٧١ -

عالم الغد (مجلة) - ٩٣ -

عباس بغدادي - ٧٤ -

عباس محمود العقاد - ١١٥ -

عبد الحسين الأزري - ٣٣-٧٧-٨٦-٨٨-٩٣-٩٤-١١٥ -

عبد الحسين الحلبي - ١١٥ -

عبد الحميد الرشودي - ٧١-٧٥-١١٥ -

عبد الرحمن البناء - ١٠٦-١١٠ -

عبد الرزاق الهلالي - ٤٣-١٢٦ -

عبد الستار الباسل - ٢٦ -

عبد السلام محمد هارون - ٥٩ -

عبد العزيز السريع - ٩١ -

عبد العزيز سعود البابطين - ٩١ -

عبد الغفار الحبوبي - ١٤٤ -

- عبد الكريم الدجيلي - ٥٠-
- عبد الله الجبوري - ١٣٢-
- عبود الكرخي (الملا) - ١١٥-
- العراق (جريدة) - ٧١-٤٧-
- العراق (قطر) - ٩٥-٤٣-٣٣-
- العرفان (مجلة) - ٨١-٥١-٤٩-
- العروة الوثقى (مجلة) - ٢٨-
- عزيز أباطة - ٥٨-
- عكاظ (سوق) - ٨٦-
- علي بن ابي طالب (ع) - ٤٦-
- علي باشا الشعراوي - ٢٧-
- د. علي جواد الطاهر - ٤٥-
- علي الشرقي (الشيخ) - ٨٦-٣٦-٣٣-٦-
- عمّان (مدينة) - ١١-٥-
- عوني بكر صدقي - ١١٤-

(ف)

- الفرات (جريدة) - ١٢٥-
- الفكر (مجلة) - ٦٤-
- فندي صعب - ٧٨-٧٧-
- فهمي المدرس - ١١٥-
- فيصل الأول (الملك) - ٩١-٥٠-٤٦-
- الفيوم (مدينة) - ١٣٦-١٢٩-

(ق)

قاسم أمين - ٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٨٤-٨٥-٩٠-
القاهرة (مدينة) - ٢٣-٣٥-٥٨-٥٩-٧٦-٩١-١٣٤-

(ك)

كربلاء (مدينة) - ٢٨-
الكوفة (مدينة) - ٤٦-

(ل)

لبنان (قطر) - ٧٧-٩١-
لورا خضوري - ٧٤-
ليلي (جريدة) - ٧١-

(م)

ماري بنت الياس = مي زيادة
المجلة الجديدة (مجلة) - ٧٣-
المجمع العلمي العراقي (مجلة) - ٥٦-
محمد باقر الشبيبي - ٣٣-١٢٠-١٢٥-١٢٦-١٣٨-
محمد بهجة الأثرى - ٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٧٩-١٠٦-١١٤-١١٥-١٢٠-١٣٣-١٣٤-
محمد جواد الشبيبي - ٧-١٠-٢٨-٣٣-٣٥-٣٦-٣٧-٤٠-٤١-٤٢-٩٧-
١٣٨-١٣٤-١٢٠-١٠١-٩٩
محمد جواد الغبان - ٦٦-٩٢-١٠٥-١٤٤-١٤٦-
محمد حسن صاحب الجواهر (الشيخ) - ٤٥-
محمد رضا الشبيبي - ٣٣-٣٥-
محمد سعيد الحبوبي - ٣٧-٤٣-
محمد شفيق غربال - ٢٣-

- محمد عبده-٢٣-
- محمد علي اليعقوبي-٣٣-٩٥-٩٦-
- محمد مهدي البصير-٣٣-
- محمد مهدي الجواهري-٣٣-٤٥-٤٦-٤٨-٥٠-٥١-
- محمود الحبوبى-٣٣-٤٢-٤٣-٩٦-٩٧-
- محمود شكري الالوسي-٣٩-
- مدحت باشا-٢٩-
- مزاحم الباجي-١٠٦-
- مصر (قطر)-٢٣-٢٤-٢٦-٣٥-٩٠-١٣٦-
- المصرية (مجلة)-٢٧-
- مصطفى عبد الجبار القاضي-١١٤-
- مصطفى عبد الرازق-٢٦-
- مصطفى عزة عبد السلام-١١٥-
- مصطفى علي-٣٩-٤٠-٧١-١١٤-
- معروف الرصافي-٣٣-٣٩-٦١-٧٦-٧٧-٧٩-٨٠-١١٥-١٢٠-١٢٤
- المغربي-١١٥-
- المفيد (مجلة)-٧١-
- المقتطف (مجلة)-٢٨-
- المقطم (جريدة)-٢٨-
- مكي السيد جاسم-٨٦-
- ملك حقني ناصف-٢٦-
- المنفلوطي-١١٥-
- د. مهدي المخزومي-٤٤-

- موسى الكرباسي - ٣٧-
الموصل (مدينة) - ٢٩-
المؤيد (جريدة) - ٢٨-٧٠-
مير بصري - ٧٤-
مي زيادة - ٦-٢٦-

(ن)

- النجف (مدينة) - ٨-٢٨-٤٢-٤٣-٤٥-٤٦-٥٠-٥١-٥٣-٩٥-١٢٥-
د. نعمات أحمد فؤاد - ٥٨-٧٢-
النهضة (جريدة) - ٩٥-٩٦-
النور (جريدة) - ١٠٦-

(هـ)

- هدى شعراوي - ٦-٢٧-
الهلال (مجلة) - ٢٨-
الهند - ٢٨-

(و)

- وديعة جعفر الشبيبي - ١٣١-١٤٤-

(ي)

- اليعقوبي = محمد علي اليعقوبي
يوسف عز الدين - ٢٨-٧٠-٧١-٧٩-
يوسف الكبير - ٧٤-

مصادر ومراجع الكتاب

- ١- الأعلام : خير الدين الزركلي - ط دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٩٨٠م
- ٢- أم كلثوم في آفاق الشعر والفن : وديعة جعفر الشببي - ط بغداد - ١٩٨٤م
- ٣- البيان والتبيين : (ج ١ - ص ١٨٦ وج ٤ - ص ٤٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - ط ٣ - ط القاهرة ١٩٤٨م
- ٤- تاج العروس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - ط الكويت
- ٥- تحرير المرأة : قاسم أمين - الطبعة الأولى - مكتبة الترقى - القاهرة - ١٨٩٩م
- ٦- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير و أساس البلاغة : الطاهر أحمد الزاوي - ط بيروت - ط ٣ - ١٩٨٠م
- ٧- جريدة (البلاد) البغدادية : العدد الصادر في ١٩٣٥/٢/٧م
- ٨- جريدة (العراق) البغدادية : العدد الصادر في (٧) و(٢٦) آب ١٩٢٩ م
- ٩- جريدة (المؤيد) المصرية : العدد الصادر في ١٩١٠/٨/٧م
- ١٠- جريدة (النهضة) البغدادية: ١٩٢٩م
- ١١- الجواهري شاعر العربية : عبد الكريم الدجيلي - ط النجف - مطبعة الآداب - ١٩٧٢م
- ١٢- خصائص الشعر الحديث : الدكتورة نعمات أحمد فؤاد - ط القاهرة - ١٩٨٠م
- ١٣- دائرة المعارف الإسلامية : الترجمة العربية - ط القاهرة - دار الشعب - المجلد (١٣)

- ١٤- ديوان إبراهيم أدهم الزهاوي : تحقيق عبد الله الجبوري - مراجعة د. شوقي ضيف - ط القاهرة - ١٩٦٩ م
- ١٥- ديوان الأثرى = محمد بهجة الأثرى - ط المجمع العلمي العراقي - بغداد ج١ - ١٩٩٠ م وج٢ - ١٩٩٦ م
- ١٦- ديوان إسماعيل صبري باشا : ضبط وشرح وترتيب (أحمد الزين) - جمع حسن رفعت - مطبعة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٣٨ م
- ١٧- ديوان الجعفري = الشيخ صالح الجعفري : ط وزارة الإعلام العراقية - تحقيق د. علي جواد الطاهر ، وثائر حسن جاسم - ١٩٨٥ م
- ١٨- ديوان جميل صدقي الزهاوي : (المجموعة الكاملة) - ط دار العودة - بيروت ١٩٧٢ م
- ١٩- ديوان الجواهري = محمد مهدي الجواهري : ج١ - جمع وتحقيق د. مهدي المخزومي ود. علي جواد الطاهر ود. إبراهيم السامرائي ورشيد بكتاش - ط وزارة الإعلام العراقية بغداد - ١٩٧٣ م
- ٢٠- ديوان حافظ إبراهيم : ترتيب وضبط وشرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري - ج١ - ط القاهرة - ١٩٣٧ م
- ٢١- ديوان الرصافي = معروف بن عبد الغني الرصافي - ط وزارة الإعلام العراقية بغداد - تحقيق مصطفى علي - خمسة أجزاء - ١٩٧٢-١٩٧٧ م
- ٢٢- ديوان الشرقي = الشيخ علي الشرقي : تحقيق إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي - ط وزارة الإعلام العراقية - بغداد ١٩٧٩ م
- ٢٣- ديوان (شعر الأخطل الصغير) = بشارة الخوري - ط بيروت - ١٩٧٢ م
- ٢٤- ديوان الشوقيات = أحمد شوقي : طبع المكتبة التجارية الكبرى القاهرة - د.ت -
- ٢٥- ديوان الشيخ محمد رضا الشبيبي : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٠ م

- ٢٦- ديوان الحاج عبد الحسين الأزري : تحقيق مكي السيد جاسم ، و شاكر هادي شكر - تقديم الشيخ علي الشرقي - وترجمة الشاعر بقلم جعفر الخليلي - ط بيروت - د.ت -
- ٢٧- ديوان عبد الرحمن البناء : (ذكرى استقلال العراق) - ط بغداد - ١٩٢٧م
- ٢٨- الديوان الكامل للأخطل الصغير (بشارة الخوري) : جمع وتقديم د. سهام أبو جودة إصدار مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري - ط الكويت - عام ١٩٩٨ م .
- ٢٩- ديوان اللباب : جميل صدقي الزهاوي - مطبعة الفرات - بغداد - ١٩٢٧م
- ٣٠- ديوان محمود الحبوبي : ج ١ - ط النجف - ١٩٤٨ م.
- ٣١- ديوان ملاحم وأزهار : محمد بهجة الأثرى - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٤ م .
- ٣٢- ديوان الهوى والشباب: بشارة الخوري (الأخطل الصغير) - ط دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٣ م .
- ٣٣- ديوان اليعقوبي =محمد علي اليعقوبي: ج ١- ط النجف- ١٩٥٧ م.
- ٣٤- ذكرى السيد محمود الحبوبي : إصدار ندوة الشعر باف = الحاج حسين الشعر باف - ط النجف - ١٩٦٩ م.
- ٣٥- رباعيات الحبوبي= محمود الحبوبي : ج ١ - ط النجف - ١٩٥١م.
- ٣٦- رسائل من الشرق: المستشرق الإنجليزي اندرسن - ١٩٣٠ م.
- ٣٧- الزهاوي دراسات ونصوص : عبد الحميد الرشودي - ط دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٦ م.
- ٣٨- الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي: عبد الرزاق الهلالي - ط(١)- بغداد - ١٩٦٥ م.

- ٣٩- الشيببي الكبير (الشيخ محمد جواد الشيببي) حياته و أدبه : حمود الحمادي - مطبعة النعمان - النجف - ١٩٧٢ م.
- ٤٠- الشعر العراقي الحديث - أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر - د. يوسف عز الدين - ط دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٧ م.
- ٤١- الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية: د. يوسف عز الدين - ط دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٧ م.
- ٤٢- الشعر العراقي الحديث - مرحلة وتطور - د. جلال الخياط - ط دار صادر - بيروت - ١٩٧٠ م.
- ٤٣- المجلة الجديدة لصاحبها سلامة موسى - القاهرة - ١٩٣٦ م.
- ٤٤- مجلة الصحافة : مصطفى علي وحسين الرحال - ١٩٢٤ م.
- ٤٥- مجلة العرفان - لصاحبها احمد عارف الزين - صيدا - لبنان - ١٩٣٠ م.
- ٤٦- مجلة الفكر لصاحبها ورئيس تحريرها: محمد جواد الغبان - ١٩٥٨ م.
- ٤٧- المجموعة الشعرية لعبد الغفار الحبوبى - مخطوط .
- ٤٨- مختارات الغبان من ديوان الشعر العربي = محمد جواد الغبان أربعة أجزاء - مخطوط.
- ٤٩- مختارات في الحجاب والسفور : مجموعة مقالات - جمع وترتيب مصطفى القاضي - مطبعة دار السلام - بغداد - ١٩٢٤ م.
- ٥٠- المرأة الجديدة : قاسم أمين : الطبعة الأولى - مطبعة المعارف - ١٩٠٠ م.
- ٥١- مصطفى علي : حياته و أدبه - عبد الحميد الرشودي - ط - وزارة الإعلام - بغداد - ١٩٨٩ م.
- ٥٢- المعجم الوسيط - إصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة - ط ٢ - ١٩٧٢ م.
- ٥٣- موشح شاعر الحياة : محمود الحبوبى - ط النجف - ١٩٦٩ م.

* * *

ويضاف الى هذه المصادر والمراجع ما أدركناه وعاشناه من قضايا وأحداث تلك الفترة المعاصرة التي يقوم هذا الكتاب بدراستها ، وما سمعناه ورويناه في شأنها عن شيوخنا وأساتذتنا من شعراء العراق المجددين كالشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد علي اليعقوبي والأستاذ محمد مهدي الجواهري والشيخ صالح الجعفري والسيد محمود الحبوبي .. وأضرابهم ممن كان شعرهم موضوع هذه الدراسة .